الإلتفات العددي في القرآن الكريم

أ.شيحاوي يمينة
كلية الأداب واللغات و الفنون
جامعة جيلالي ليابس (سيدي بلعباس)

لقد تداولت المعاجم اللغوية تعريفات كثيرة للالتفات تتفاوت في مدلول كلمة " لفـــت" ومشتقاتها.

فالالتفات في اللغة من مادة "لفـــت" و وَرَدَ في لسان العرب " لإبن منظور" : لفت وجهه عن القوم أي صرفه,من اللّفت والتفتَ إلى الشيء وتلفت إليه إلتفاتا,أي صرف وجهه إليه.(01) و في هذا المعنى جاء قوله تعالى ((قالوا يا لـــــوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسْر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إنّ موعدهم الصبح وأليت الصبح بقريب) .(سورة هود81).

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه لوط –عليه السلام –ومن تبعه من قومه بترك الالتفات بوجوههم كي لا يروا ما نزل بالكافرين من عذاب , لكن إمرأته كانت من العاصين لأمر ربها والتفتت بوجهها , فكان هلاكها بحجر من السماء وورد في كتاب الله الحكيم قوله تعالى: ((اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا)) (سورة يونس 87) .قال أبو عبيدة : (اي لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا عنه (02))

وورد في الحديث النبوي الشريف لفظ الالتفات بمعنى اللي والصرف يقال صرف الوجه يميناً ويسارًا في الصلاة أي " التـــــــــفت ".

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الالتفات في الصلاة، فقال هو :(اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد) (03)

ويقال لفته عن رأيه أي صرفته وفلانًا يلفت الكلام لفــــــتا يرسله على عواهنه لا يبالي كيف جاء , ولفت اللحاء عن العود قشره(04)، ومن معانيه أيضا ،المباوحة النفسية للسلوك الإنساني،ومن ذلك حديث الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم –إذ ورد فيه : (لا تتزوجنَ لفـــــــوتًا) (05)

واللّفوت من النساء ،الكثيرة التلفت ، و المرأة النمامة ومن معاني الالتفات في اللغة :

اللّيّ يقال : لَفَــتَهُ ، يَلفِــتُهُ،لُفــــــْتًا ، أي لواه على غيره وجهته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله يبغض البليغَ من الرجال الذي يلفتُ الكلام كما تلفت البقرة الخِلُّى بلسانها) أي يلوي الكلام بلسانه مبالغا في إظهار بلاغته ،وفصاحته. (06)

"والألفت الرجل الأعسر،ويقال لَفِـــــتَ الرجل بكسر الفاء لفتًا:حَمُقَ وعمل بشماله دون يمينةّ،واللفتاء:الحولاء،واللفوت من

معانيها أيضا الناقة الضجور عند الحلب تلتفت فتعض الحالب ،واللفيتة: الغليضة من العصائد لأنها تلفت أي تلوى ".(07)

ونجد من معانيه أيضا الإصغاءأي إلتفاتك للإصغاء لمن يحمل لك خبراً ، ومن المعاني أيضا القتل ،وقَتَلَ هو مقلوب لَفَتَ ويحملان المعنى ذاته،يقال لَفَتَ الشيء وقتله،ومعناه القبض أيضا ،قال الفراهيدي :اللفت ليّ الشيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته"(08)

مما تقدم ذكره نجد أن المادة اللغوية أو المعجمية الإلتفات تدور في عمومها حول محور دلالي واحد هو الصرف والليّ و التحول عن الجهة المستقيمة و الطبيعية،ثم أطلق بعد ذلك على الفن البلاغي الذي نحن بصدد دراسته.

تعريـــــــف الالتفـــــــات اصطـــــلاحـــــا :

في موروثنا البلاغي طائفة من المصطلحات والتعاريف التي تواردت مع مفهوم "الالتفات"وقد أرجع الدارسون ظهوره إلى القرن الثاني الهجري،ونحن إذا تأملنا مسيرة هذا المصطلح في مؤلفات ومصنفات هذا الموروث نجده يختلف عبر العصور،ويتأرجح بين علمي المعاني والبديع.

فأقدم إشارة لهذا المصطلح في تراثنا هي تلك التي يرويها أبو اسحاق الموصلي عن الأصمعي (ت213ه)إ ذ يقول:قال لي الأصمعي : أتعرف إلتفاتات جرير؟قلت:و ماهي؟فأنشدني.

أتنسى إذ تودعنا سُلَيْمى بعود بشامة سَقى البشام(09)

ثم قال:"إما تراه مقبلا على شعره إذ إلتفت البشام فدعا له ". هذه الرواية التي تداولتها كتب التراث تدل على أن مصطلح الإلتفات. (10)

كان معروفا بالفعل منذ القرن الثاني الهجري ، ومن جهة أخرى تدل على أن مفهومه أنذاك كان يختلف عن مفهومه الذي إستقر عليه لاحقا ,وهذا ما يبدو جلياً في بيت جريرالسابق،وفي تعليق الأصمعي عليه، إذ أن دعاء جرير للبشام بعد الإقبال على شعره إنما هو مجرد تحول عن معنى إلى معنى أخر و لعل الأصمعي بهذه الإلتفاتة قد سبق غيره إلى وضع إسم "الإلتفات"دون أن يذكر له تعريفا محددا.

لقد ورد مفهوم الإلتفات البلاغي عند إبن المعتز(ت296

فقال :"هو إنصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبارإلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الإلتفات الإنصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى أخر (11)

وقد مثل ابن المعتز مفهومه للالتفات ببيت اختاره لجرير يقول فيه:

طرب الحمام بذي الاراك فشاقني لا زلت في غلل وأيك ناضر (12)

فقد إنتقل الشاعر من أسلوب الغيبة في قوله(طرب الحمام)إلى المخاطبة في قوله (لا زلت),وفي الوقت نفسه إنتقل من المعنى الذي كان اخذا فيه من ذكره الحمام الى الدعاء للحمام بالرى والطعام. (13)

أما قدامة بن جعفر (ت337ه)فعرفه بقوله:"ومن نعوت المعاني الإلتفات,و بعض الناس يسميه الإستدراك ,وهو أن يكون الشاعر آخِذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أوظن بأن رادا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه ,فيعود راجعا على ما قدمه فإما أن يؤكده او يذكر سببه أو يجلِ الشك فيه"(14)

وبمقارنة مفهوم الإلتفات عند قدامة بن جعفر ومفهومه عند إبن المعتز يتضح أن هذا فرع من ذاك فهو داخل تحت الجزء الأخير من تعريف إبن المعتز ,ولئن كان هذا الأخير يجعله إنصرافا من معنى إلى غيره فإن قدامة يؤكد على أنه رجوع على المعنى نفسه لتأكيده أو ذكر السبب أو إحالة الشك فيه.

ولم ينفرد قدامة وحده بهذا المفهوم عن الإلتفات بل نجد أن أبا هلال العسكري (ت:395ه)يجعله أحد الضربين فقال :

(الإلتفات على ضربين : فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره ،والضرب الثاني أن يكون الشاعر آخذا في معنى و كأنه يعترضه شك وظن أن رادا يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه فإما أن يؤكده او يذكر سببه او يزيل الشك عنه). (15)

بتأمل هذين الضربين في تعريف العسكري نجده يتفق مع ابن المعتز في الجزء الاخير من تعريفه للإلتفات و لو أنه كان أكثر دقة ووضوحا حيث أشار الى الصلة الوثيقة بين المعنى الذي يكون فيه الشاعر و المعنى

الذي ينصرف في حين يتفق مع قدامة بن جعفر في الجزء الثاني من تعريفه.

وإذا خطونا قدما نحو القرن الخامس الهجري يطالعنا أبو علي لحسن بن رشيق القيرواني (ت:456ه)في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وأرائه ".

بآراء و شواهد يذكرأنه نقلها عن السابقتين ,ثم بعد تمحيص لها امثال إبن المعتز و قدامة و العسكري.

عرف الإلتفات فقال :"وهو الإعتراض عند قوم ،وسماه أخرون ،الإستدراك حكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر أخذا في معنى ثم يعرض عن الأول إلى الثاني فيأتي به.

ثم يعود إلى الأول من غير ان يخل في شيء مما يشد الأول ".(16)

والملاحظ أن إبن رشيق لم يعترض على أية تسمية سابقة بل نجده يستحسن بعضها مثل قوله :"و قد احسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله:هو انصراف المتكلم...". (17)

وأما أبو منصور الثعالبي (ت:429ه) فقد أفرد لموضوع الإلتفات فصلا خاصا في كتابه:"فقه اللغة و سر العربية" وكان تعريفه له كالأتي:"هو ان تذكر الشيء و تُتّم معنى الكلام به،ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه".(18) أما الخطيب التبريزي (ت:502ه)صاحب كتاب"الوافي",يعرف الإلتفات فيقول:"وقيل الإلتفات.أن يكون

الشاعر في الكلام فيعدل عنه إلى غيره ،قبل أن يتم الأول ،ثم يعود إليه فيتمه ،فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول و زيادة حسنة".(19) وأما الزمخشري (ت:538ه)قد صرح بأن هذا الأسلوب يسمى الإلتفات في علم البديع ،و ذكر أنه يكون من الغيبة إلى التكلم و الملاحظ أنه أول من عني ببيان القيمة الفنية لتلك الظاهرة وقد سايره فيما ذهب إليه في هذا الصدد كثير من البلاغيين الذين جاؤا بعده أمثال السكاكي و القزويني والعلوي و غيرهم.

أما الفخر الرازي (ت:606ه) فتحدث عن الإلتفات في كتابه" نهاية الايجاز في دراية الإعجاز "فيقول:"هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس أو هو تعقيب الكلام بجملة تامة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتميما له في المعنى على جهة أو غيره".(20)

أما ضياء الدين إبن الأثير(ت:637ه)فقد عرف الإلتفات في كتابه"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"وذلك ضمن القسم الخاص بالصناعة المعنوية ومما أضافه تعريفه للإلتفات تعريفًا لغويًا فقال:"هو مأخوذ من إلتفات الإنسان عن يمينه و شماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ثم يربط التعريف اللغوي بالتعريف البلاغي فيقول:"وكذلك يكون هذا من الكلام خاصة،لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة،كإنتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب،أو من خطاب غائب إلى حاضر ،أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل ،أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك".(21)

وبهذا جعل للإلتفات ثلاثة أقسام:الأول من الغيبة إلى الخطاب والعكس والثاني الرجوع من فعل المستقبل إلى فعل الأمر،والثالث في الإخبار بالماضي عن المستقبل،وكان إبن اللأثير بذلك قد وسع دائرة الإلتفات مما أثر على بعض البلاغيين الذين درسوه بعده و يتجلى ذلك على سبيل المثال في تعريف يحي بن حمزة العلوي (ت:849ه)للإلتفات قوله:"هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول" . (22) أما حازم القرطجنّي(ت:684ه)في كتابه"مناهج البلغاء وسراج الأدباء"فيعرف الإلتفات بقوله:"...وهم يسامون الإستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب،فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة،وكذلك أيضا يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافًا،فيجعل نفسه مخاطبًا وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب ،فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ،وإنما يَحــسُنُ الإنتقال من بعضها إلى بعض،وهو نقل معنوي لا لفظي،وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه".(23)

ويعترف بدر الدين الزركشي (ت:894ه)في كتابه"البرهان"الإلتفات فيقول:" الإلتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية وإستدرارًا للسامع وتجديدًا لنشاطه,وصيانة لخاطره من الملل والضجر ,بدوام الأسلوب الواحد على سمعه".(24) و يشير الزركشي إلى أن مما يقرب من الإلتفات التحول في المجال العدد

ثم يتتبع أقسامه المتحصلة عن الإنتقال من كل حال من أحواله الثلاث v (الإفراد, التثنية,الجمع)إلى الحالين الآخرين.

أقســـــــــــام الالتفـــــــــات:

نود أن نحدد أبرز المجالات والأقسام التي تحقق فيها الإلتفات و أبرز مجالاته في القرآن الكريم هي:

أولاً:الصيـــــــــــــغ

يتحقق الإلتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان في(نسق واحد)من مادة معجمية واحدة من ذلك مثلاً,مخالفةٌ بين صيغ الأفعال (الماضي,المضارع و الأمر)او بين صيغتي نوع واحد ،أو بين صيغ الأسماء ،أو بين صيغة من صيغ الإسم و أخرى من صيغ الفعل أو ما إلى ذلك مما لا يتمثل في اللغة الفنية عامة وفي لغة القرآن إلا لمرامي و أسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة ،ونجد إلتفاتاً من هذا القبيل في القرآن الكريم بين صيغتي(نزل وأنزل)و (نبأ و أنبأ)، (اسطاع و إستطاع),(نجى وأنجى)، ثم بين صيغتي الإسم:(ضلال وضلالة)، (الحياة والحيوان)، (أبناء وبنيّ)، (شاكرًا وكفورًا)، (مشتبه و متشابه).

يقول صاحب المثل السائر:"اعلم أيها المتوشح لمعرفة البيان إن العدول من صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية إقتضت ذلك،وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز

الفصاحة والبلاغة الذي إطلع على أسرارها ولا تجد ذلك في كل كلام،فإنه أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما،وأغمضها طريقا".(25)

ثانيا: الضمائـــــــــر

إن القارئ المتأمل للقرآن الكريم تستوقفه وتثير تأملاته تلك المغايرة الواردة في الضمائر ، فإذا ما تعمق في فهمها أدرك أنها مغايرة مقصودة وليست عفوية،ومن أمثلة الآيات الكريمات التي تستوقف القارئ قوله تعالى:"عبس وتولى*أن جاءه الأعمى*وما يدريك لعله يزكى".(سورة عبس1،2،3)

وقوله:"...أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء".(سورة النور31) ، والآيات الثماني الأولى من سورة الأعلى.

وهو على ستة أقسام بحسب الضمائر الثلاثة(التكلم،الخطاب والغيبة)وهي كالأتي:

1/الإلتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومن أمثلته قوله تعالى:"ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعثنا منهم إثني عشر نقيبا" (سورة المائدة 12),فحوّل الكلام من الغيبة إلى التكلم في قوله(أخذ الله) إلى التكلم في قوله :(بعثنا)، وبحسب مقتضى السياق الأول يكون القول :"ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعث منهم إثني عشر نقيبا".

ومثله أيضا قوله تعالى:"والله الذي أرسل الرياح فتثير سحباً وسَقَيناهُ ..."(سورة فاطر09)، وفي هذه الآية الكريمة فإن فائدة الإلتفات أنه كما كان سوق السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره،عَدَلَ عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخلُ في الإختصاص،وأدل عليه وأفخمُ.(26)

ومن أمثلة قوله تعالى:"فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح". (سورة فصلت 10)

فهنا عدل عن الغيبة في(قضاهن)و(سواهن) إلى التكلم في قوله و(زينا) فقال الزركشي:"للإهتمام بذلك ،والإخبار عن نفسه،بأنه جعل الكواكب زينة السماء الدنيا و حفظا،تكذيبا لمن أنكر ذلك". (27)

2/الإلتفات من التكلم إلى الغيبة:

وهو من الأنواع التي وردت كثيرا في القرآن الكريم ومن أمثلته قوله عز وجل:"إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وإنحر".،(سورة الكوثر 1،2) فحول الكلام من المتكلم (أعطيناك)إلى الغيبة في قوله:(فصل لربك)وفي هذا تعظيم لجلالته وإفراد العبودية والتوحيد

ومما ورد في هذا النوع من الإلتفات قوله تعالى:"وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون".(سورة البقرة 83)

فانتقل من التكلم (اخذنا) إلى الغيبة "الله "ولو تتبعنا السياق الأول لكان القول(لا تعبدون إلا إيانا)، وفي هذا التحول دلالة على العظمة هذا ناهيك عما تحويه الآية من دعوة للإمتثال والإنتهاء حيث قال "لا تعبدون" ولم يقل :

"أعبدوا" .لأنه التعبير بالخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر. (28)

3/الإلتفات من التكلم إلى الخطاب:

ومن أمثلته قوله تعالى:"ومالي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون" (سورة يس 22)و الأصل:"وإليه أرجعُ"فإلتفت من التكلم إلى الخطاب ،وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ،وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما،ثم إلتفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

ومثل هذا النوع أيضا قوله عز وجل :"قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين*و إن أقيموا الصلاة و إتقوه وهو الذي إليه تحشرون".(سورة الأنعام 71،72) ,فهنا إلتفات من صيغة التكلم (لنسلم)إلى صيغة المخاطب (وأقيموا الصلاة و إتقوه),يقول أبو بكر الرازي:فإن قيل:هب أن المراد ما ذكرتم،لكن ما الحكمة في العدول عن هذا اللفظ الظاهر والتركيب الموافق للعقل إلى ذلك اللفظ الذي لا يهتدي العقل إلى معناه إلا بالتأويل ؟ قلنا :وذلك لأن الكافر ما دام يبقى على كفره كان كالغائب الأجنبي,فلا جرم إن يخاطب بخطاب الغائبين فيقال:"و أمرنا لنسلم لرب العالمين"وإذا أسلم وآمن ودخل في الإيمان صار الحاضر،فلا جرم إن يخاطب بخطاب الحاضرين ويقال

له:"وإن أقيموا الصلاة وإتقوه وهو الذي إليه تحشرون "فالمقصود من ذكر هاذين النوعين من الخطاب،التنبيه على الفرق بين حالتي الكفر والإيمان،وتقريره أن الكافر بعيد غائب،والمؤمن قريب حاضر و الله أعلم.(29)

4/الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ومن أمثلته قوله تعالى:"حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم "،(سورة يونس 22) "و فائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم.لتعجبه من فعلهم وكفرهم إذ لو إستمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة"(30)

ومثل هذا الإلتفات نجده في قوله تعالى:"و لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل أية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن إتبعت أهواءهم من بعدهم ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين *الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أنباءهم وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون",وفي هذين الآيتين خاطب المولى عز وجل رسوله:

(أ تيت،قبلتك،أنت،إتبعت،جاءك،إنك)ثم عدل عنه إلى الغيبة (يعرفونه)، قال أبو حيان الأندلسي:(انه لما فرغ من الإقبال عليه بالخطاب،أقبل على الناس فقال:"الذين أتيناهم الكتاب"و إخترناهم لتحمل العلم و الوحي،يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآية السابقة و أمرناه ونهيناه،لا يشكون في معرفته،ولا في صدق أخباره،بما كلفناه من

التكاليف التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة،كما في كتابهم من ذكره ونعته).(31)

5/الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومثله قوله تعالى:"لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفــــــــــــــــك مبين"(سورة النور12) ، في هذه الآية الكريمة عدول يتمثل في قوله عز وجل (ظن المؤمنون) حيث أسند فعل الظن إلى الإسم الظاهر،و (الإسم الظاهر من باب الغيبة)لا إلى الضمير المخاطبين الملائم لظاهر السياق "ظننتم".

وهو عدول يؤدي دوره في تجسيد المبالغة في عتاب الله عز وجل للمخاطبين ,ففي التحول عن مخاطبتهم "سمعتموه"إلى الإخبار عنهم "ظن المؤمنون"إشعار لهم بأنهم حين أفاضوا في هذا الحديث المؤذي للرسول صلى الله عليه وسلم،ولم يبادروا إلى نفيه أو يجاهروا بتكذيب مروجيه،قد تنكبوا–وهم مؤمنون–النهج الأمثل الذي تقتضيه صفة الإيمان(32) ، ومن ثم كان إخراج هذه الصفة فيهم مخرج الشك مبالغة في هذا العتاب وتحذيرا من الإرتكاس في مثل هذا المسلك،وذلك في قوله سبحانه بعد ذلك في سورة النور:"يعظكم الله إن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين".(33)

ومن أمثلة هذا النوع من الإلتفات قوله تعالى:"إتخذ الرحمن ولدا ،لقد جئتم شيئا إدّا"،(سورة مريم) ولم يقل(لقد جاؤا) للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا عليه منكرا عليه قوله،كأنه يخاطب به قوما حاضرين.

6/الإلتفات من الخطاب إلى التكلم :

ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى:(قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون),على أنه سبحانه وتعالى أنزل نفسه منزلة المخاطب،فالضمير في "قل"للمخاطب وفي "رسلنا" للمتكلم،و إن كان العلماء قد إتفقوا على أنه لم يرد شاهد في القرآن الكريم على هذا النوع من الإلتفات و إكتفوا بالتمثيل لهذا النوع بقول علقمة الفحل (34)

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان المشيب
تكلفني ليلى و قد شط وليهـــــــا و عادت بينـــــــــنا عواد و خـــــــطوب.

فقد إلتفت الشاعر من الخطاب(بك)في البيت الأول إلى التكلم (تكلفني)في البيت الثاني و مقتضى السياق أن يقول (تكلفك)

والإمام الزركشي عد قوله تعالى:"فأقضي ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا،إنا أمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى" إلتفات و رأى أنه إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالإلتفات واحدا،فأما من إشترطه فلا يحسن أن يمثل به (35)

ثـــــالثـــــا:إلتفـــات العـــــــــــــدد

يحفل القرآن الكريم بالعديد من مواطن الإلتفات في مجال العدد(الإفراد،التثنية و الجمع)و نود أن نتوقف إزاء بعض هذه المواطن في كل صورة من الصور الثلاث التالية:

أ/بين الإفراد و الجمع

ومن ذلك إفراد السمع وجمع الأبصار والقلوب في مثل قوله تعالى في سورة البقرة"ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم و على أبصارهم غشاوة"(سورة البقرة 07),فلقد جاءت لفظة "سمعهم" مفردة تتوسط جمعين "قلوبهم وأبصارهم"وهي بذلك تشكل في نسق الآية الكريمة تحولين:أ ولهما عن الجمع إلى الافراد،والثاني عن الإفراد إلى الجمع.

و من مواطن الإلتفات عن الإفراد إلى الجمع قوله سبحانه وتعالى:" و إتخذوا من دون الله ألهة ليكونوا لهم عزا*كلا سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدا",ففي الآية الثانية جاء إسم يكون -العائد على الألهة-ضمير جمع,ثم جاء الخبر عنه مفردا"ضدا"عدولا عن "أضداد"التي يقتضيها السياق،وهو عدول يحقق غايتين:

الأولى:التوافق الموسيقي بين فواصل الآيات،والثانية هي الدلالة على"توحد"موقف الألهة يوم القيامة في معادة هؤلاء الكفار الذين عبدوهم من دون الله،فتوحيد الضد هو-كما ذكر المفسرون - لتوحد المعنى الذي تدور عليه مضادة هؤلاء الألهة للكفار ،إذ أنهم يتفقون على هذه المضادة فيكونون كالشيء.(36)

ب/بين الإفراد والتثـــنية:

ومن أمثلته قوله تعالى:"يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله و رسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"(سورة التوبة 62)

فهنا عدول عن التثنية الضمير "يرضوهما"إلى إفراده "يرضوه "فالضمير في"يرضوه"عائد على الله والرسول(ص) وإن في تثنيته دلالة على توحد الرضاء ين وإشعار بأن ارضاءه صلى الله عليه وسلم هو في الوقت ذاته إرضاء للخالق عز وجل،إذ في ذلك دون ريب دعم لموقفه وسلوان له في ما تحمله من أذى هؤلاء المنافقين فشأن الإرضاء في توحيده في تلك الآية الكريمة هو شأن الطاعة التي وحدها عز وجل في قوله تعالى:"و من يطع الرسول فقد أطا ع الله من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا".(37)

ج/بين التثنية والجمع:

من المواطن القرآنية التي تحقق فيها تحول عن التثنية إلى الجمع قوله سبحانه و تعالى:"و هذان خصمان إختصموا في ربهم"،(سورة الحج 19) حيث أسند فعل الإختصام إلى ضمير الجماعة "إختصموا" لا إلى ضمير التثنية"إختصما"الملائم

لظاهر السياق,يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية:(...الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل:هذان فوجان أو فريقان مختصمان و قوله "هذان " للفظ و"إختصموا" للمعنى كقوله:ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا...ولو قيل:هؤلاء خصمان أو إختصما جاز-يراد المؤمنون والكافرون-).(38)

الالتفات العددي في القرآن الكريم ــ جمع و دراسة ــ :

كما سبق وأن أشرنا فقد مر مصطلح الالتفات البلاغي بتغيرات كثيرة ، وظهر عند البلاغيين على صور متعددة ، ويرتضي كثير من

دارسي البلاغة المعاصرين أن يعرفوا الالتفات وعينهم على أسلافهم :"بأنه الإنتقال في الكلام من صيغة إلى أخرى ن أو من أسلوب إلى آخر على خلاف ما يقتضيه الظاهر " (39)

ويضيق مفهوم الالتفات عند عدد من العلماء والدارسين ليقتصر على الإنتقال في الضمائر(40) ، ويتسع قليلا عند آخرين ليشمل الإنتقال في الأفعال إلى جانب الضمائر(41)، ويتسع أكثر عند غيرهم ليشمل الإنتقال في العدد أيضا (42)، ويمتد سعة ليشمل التذكير والتأنيث (43)، والتعريف والتنكير (44) ، ويجعله بعضهم يتسع ليشمل "كل تحول أو انكسار في نسق التعبير لا يتغير به جوهر المعنى أو البنية العميقة " (45).

ويعد ابن وهب من أوائل من جعلوا الإنتقال في العدد من باب الالتفات وسماه الصرف ،يقول : " وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى االغائب ، ومن الواحد إلى الجماعة "(46)

وجعل ابن الأثير في " الجامع الكبير " الالتفات في ثمانية أقسام منها الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد " (47)، ورأى الزركشي أن : " مما يقرب من الالتفات الإنتقال من خطاب الواحد و الاثنين والجمع إلى خطاب آخر ، وهو ستة أقسام :

الأول: الإنتقال من خطاب الواحد لخطاب الإثنين كقوله تعالى: « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض » [سورة يونس :78]

الثاني : خطاب الواحد إلى خطاب الجمع كقوله تعالى: « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء [سورة الطلاق :01]

الثالث : من الإثنين إلى الواحد كقوله تعالى:« فمن ربكما يا موسى » و قوله : « فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى» [سورة طـــه : 49 ، 117]

الرابع: من الإثنين إلى الجمع كقوله تعالى : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » [سورة يونس : 87]

وفي انتقال آخر من الجمع إلى الواحد ، فإنه ثنّى ثم جمع ثم وحّـــد توسعا في الكلام ، وحكمة التثنية أن موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة ، ويحكمان في الشريعة ، فخصهما بذلك ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة ، لأن الجميع مأمورون بها ثم قال لموسى وحده (وبشر المؤمنين) لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار .

الخامس: من الجمع إلى الواحد كقوله تعالى:« وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين»[سورة يونس :87]

السادس : من الجمع إلى التثنية كقوله تعالى:« يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا» [سورة الرحمان : 33، 34] (48)

أما بالنسبة لتعريف الالتفات العددي فقد اتفق جل من تناول ظاهرة الالتفات بأنه :" العدول بين المفرد والمثنى والجمع من الألفاظ ."

وأودّ أن أشير قبل عرض نماذج مختلفة من إلتفات العدد في القرآن الكريم أنها جاءت في مجملها في سياق الحديث عن الذات الإلهية ، وقد جاءت على صورتين غالبا من صور الالتفات الست وهما : الإنتقال من المفرد إلى الجمع ، والإنتقال من الجمع إلى المفرد .

ولعل أبرز الدلالات التي تتركز حولها أمثلة الالتفات القرآنية المتعلقة بالذات الإلهية هي وحدانية الله سبحانه وتعالى ، عظمته والقرب منه ، أو البعد عنه ، والقوة والشدّة أحيانا ، وقد يجتمع عدد من هذه الدلالات في النص واحد .

أولا : الالتفـــات من الواحـــد إلى المثـــنى

جـــاء في محكم التتريل قوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعـــنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان » [سورة المائدة : 64]

فلقد جاءت لفظة اليد مثناة في دحض تلك القرية بعد أن ذكرت مفردة ألسنة أصحابها و مردّديها لعنهم الله ، وجاء في تفسير هذا العدول على لسان بعض المفسرين : أن اليهود قد جعلوا قولهم " يد الله مغلولة " كناية عن نسبة البخل إلى الله جـــلّ وتتره عن ذلك ، فأجيبوا على وفق كلامهم – أي بطريق الكناية – فقيـــــــل :

" بل يداه مبسوطتان " بتثنية اليد ليكون ردّ قولهم وانكاره أبلغ في الدلالة على إثبات غاية السخاء له سبحانه وتعالى أي ليس الأمر على ما وصفتموه من البخل ، بل هو جواد على سبيل الكمال (49)

وكقوله تبارك وتعالى : « قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين » [سورة يونس :78]

فضمير المفرد يعود على موسى وضمير المثنى (لكما) يعود على موسى وهارون

ثـــــانيــــــــا: الالتـــــفــــــات من الواحــــــد إلـــى الجمـــــــع

كقوله تعالى:« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير »[سورة البقرة : 8–10]

الالتفات في هذه الآية المباركة في تحول الخطاب من المفرد في قوله تعالى (تعلم) إلى خطاب الجمع في قوله تعالى (مالكم) وسر هذا التحول هو كون الخطاب في (تعلم) خطاب عام لكل فرد ولهذا عطف عليه قوله تعالى (ومالكم) بصيغة الجمع قال فيه أبو حيّان : " انتقل من ضمير الإفراد في الخطاب إلى ضمير الجماعة وناسب الجمع هنا لأن المنفي بدخول من عليه صار نصا في العموم فناسب كون المنفي عنه يكون عاما أيضا " (50)

حتى لو كان الخطاب خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم كما أورد ابن كثير إلا أنه يتعداه بالتبليغ إلى كل فرد في الأمة وفيه قـــدر كبير من الإلزام بنشر العلم والمعرفة خاصة مـــا يتعلق بأمور العقيدة وهذا مـــــا حدا بالأسلوب إلى صيغة الجمع مع ثبات العقيدة في الولاية والنصرة فهي راسخة في نفس المخاطب الأول " تعلم " وليست

كذلك في نفوس بعض أفراد الأمة ولهذا ناسب الالتفات إلى الجمع مع ذلك الأمر الخطير (51)

وقوله تعالى :« مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون» [سورة البقرة:17] قال البيضاوي: "لما عدّد الله تعالى فرق المكلفين أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هـــــــــزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها ، وإنما كثر النداء في القـــــــرآن الكريـــــــــم بـــ " يا أيها" لإستقلاله بأوجه من التأكيد ،و كل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظـــــام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها " (52)

ومن مواطن الالتفات من المفرد إلى الجمع ما جاء في قوله تعالى :« والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون » وذلك بعد قوله تعالى : « فإما يأتينكم مني هدى» [سورة البقرة :39،40]

فالالتفات في قوله تعالى(بآياتنا) بضمير الجمع بعد ضمير المفرد في قوله تعالى (مني) وكان مقتضى الظاهر – بأياتي – بدل – بآياتنا – قال أبو السعود : " وإيراد (نا) العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها . (53)

والآيات هنا الكتب المنزلة على جميع الأمم أو معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أوالقرآن الكريم أو دلائل الله في مصنوعاته ، ولهذا أضافها المولى العلي القدير إليه بضمير العظمة ليدل على أن جميع تلك الآيات التي أقامها الله سبحانه وتعالى هي نعمة عظمى على العباد

تستوجب دوام الشكر ، والتفكير فيها للوصول بها للصراط المستقيم ولهذا ظهرت نون العظمة في (آياتنا) وكـــــان الالتفـــــــات هـــــــو الأبلـــــــــغ (54)

وجاء قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنوليّنك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أُوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عمّـــا يعملون » [سورة البقرة :144]

تحقق فيها التفات عددي في قوله تعالى :(وما الله بغافل عمّا تعملون) ففيه عدول عن لفظ المفرد إلى الجمع ، وقد يحقـــق هـــذا النوع إشارة إلى وحـــدة المسلميـــن بقبلتهم ، أنهم يشـــار إليهم بقائـــدهم محمـــد – صلى الله عليه وسلم – وأن استقبال القبلة سبب وحدة المسلمين ،وفي هذه القراءة بشارة بحسن العاقبة وعظيم المثوبة وجزيل الأجر ، فلتثبتوا على ما أنتم عليه ولتصبروا غير مبالين بما تلاقون ، ولن يضيّع الله لكم مثقال ذرة (وما الله بغافل عما تعملون) ، فالله تعالى ليس بِســـاهٍ عن أعمالكم ولكنه مُحصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة (56) ، وذكر الألوسي ، في قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن الجزاء فهو وعيد للمؤمنين ، وقُرئ (يعملون) على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين (57)

قوله تعالى :« سأصرف عن آياتيَ الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوهسبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين »

[سورة الأعراف : 146]

يبدو أن الانتقال إلى الجمع قد حمل دلالة تعظيم الذات الإلهية ليعظم ما اقترفه المتكبرون بتكذيبهم بآيات الله، أما استخدام الإفراد في (آياتيَ) وما يدل عليه الإفراد من القرب فيشير إلى عظم ماخسره الذين صرفوا عن القرب من الله تعالى (58)

ولا يعني ماسبق ذكره أن الإفراد يحمل دلالة القرب والجمع يحمل دلالة التعظيم دائما ، إذ يبدو الانتقال من المفرد إلى الجمع قي قوله تعالى : «فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأُملي لهم إن كيدي متين » [سورة القلم : 44، 45]

لافتا مثيرا للدهشة ،" فذرني" التي تحمل دلالات القوة والعنف صيغت بالمفرد ، وأما الإستدراج الذي لا يحمل دلالة القوة المباشرة صيغ بالجمع ويبدو لنا أن الإفراد في "ذرني " حمل دلالة أقوى واكثر إنسجاما للتعبير عن هول إنفراد الذات الإلهية بالمكذبين ، وهي الدلالة نفسها التي تحملها العودة إلى الإفراد في "أملي " ، ففي الإفراد تعبير عن تدخل الله المباشر بهذا الأمر وليس من خـــــــلال أي مـــن جنوده ، وفي ذلك تعظيم لذنب المكذبين (59)

إن الحديث عن الدلالات التي تتركز حولها أمثلة الالتفاف القرآنية و المتعلقة بالذات الإلهية ووحدانية الله سبحانه وتعالى عظمته والقرب منه ، أو البعد عنه ، والقوة والشدة قد تجمتع في النص الواحد ، فلو نظرنا – على سبيل المثال – في قوله تعالى من سورة الكهف « افحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنّـــا اعتدنا جهنّم للكافرين نُزلا » [سورة الكهف : 102]

يمكن أن نرى في الإفراد " عبادي ، من دوني " تعبيرا عن وحدانية الله ، ثم يأتي الجمع "إنّا اعتدنا " مؤكدا عظمة الذات الإلهية وما يصدر عنها من أفعال بعد أن أزال شبهة الشرك حين أفرد ،وبذلك استطاع الانتقال من المفرد إلى الجمع أن يحمل دلالة عِظم ما أعدّه الحق – تبارك وتعالى – من عقاب للكافرين ، ويحافظ في الوقت ذاته على تأكيد وحدانية الله تعالى (60)

و مما هو جدير بالملاحظة أن الالتفات من المفرد إلى الجمع يأتي في بعض الآيات المبدوءة بالقسم ، ومن أمثلة قوله تعالى: « فلا أقسم برب المشارق و المغارب إنّا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » [سورة المعارج : 40]

وقوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنّفس اللّوامة أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه [سورة القيامة: 01– 03]

وقوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌ بهذا البلد ،ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الإنسان في كبد [سورة البلد : 01– 04]

يظهر أن الإفراد في القسم جاء في مثل هذه المواضع لأن الذات الإلهية أرادت إظهار شدة تأكيد ما تقسم عليه ، فالإفراد يحمل هنا دلالة أقوى لأنه يؤكد على انفراد الذات الإلهية بالقسم ، ووحدانيتها ، وبعد ذلك الجمع فيحمل دلالة تعظيم أفعال الله تعالى (61)

ومن أبرز المواطن التي نجد فيها انتقالا من المفرد (الواحد) إلى الجمع في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى آيات تتضمن حديثا عن إنزال المطر ، وإخراج الزرع ومن أمثلة ما ورد من التفات عددي ، في هذا المجال قوله تعالى : « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا منه حباً متراكبا » [سورة الأنعام : 99]

وقوله تعالى : « الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به من نبات شتى » [سورة طه : 53]

وقوله تعالى : « وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » [سورة النمل : 60]

وقوله تعالى : «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها » [سورة فاطر : 27]

إذ يلاحظ أن إنزال الماء من السماء يأتي بضمير المفرد في حين يأتي "الإخراج" و" الإنبات " بضمير الجمع ، ويحمل الإفراد دفعـــا لأي شبهة من ارتبـــاط نـــزول المـــاء بغير الله سبحـــانه وتعـــالى ، و اختصاصه به (62)

وبعد تأكيد ذلك يأتي الجمع فيحمل تعظيما للخالق وفعل الخلق ، فإنبات النبات ، وإخراجه من الأرض شاهد من شواهد العظمة المباشرة على القدرة الإلهية

ثـــالــــــثـــــــا: الالتفـــــــات من الاثنيـــــــن إلى الواحــــــد

جاء في محكم التتريل قوله تعالى : « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » [سورة التوبة : 62]

لقد اختلف النحاة والمفسرون في تحديد مرجع الضمير في الفعل "يرضوه "

ـــ فقيل : إنه يعود على الله ورسوله ، وإنما أفرد لتلازم الرضاءين

ـــ وقيل أيضا : إنه يعود على الرسول فحسب ، لأن الكلام في ايذائه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وإرضاءه

ـــ وقيل كذلك : إنه عائد على الله ـــ عز وجل ـــ فقط والتقدير : والله أحق أن يرضوه والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ

كذلك (63)

فعلى الرأي الأول تتضمن الآية الكريمة عدولاً عن تثنية الضمير " يرضوهما " إلى إفراده "يرضوه "، فهؤلاء الذين تخبر عنهم الآية الكريمة عن حلفهم للمؤمنين كي يرضوهم عن فئة من المنافقين (64) كانوا

يتعمدون الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالإيذاء ويتقولون عليه الأقاويل ، وهذا ما أخبرت به الآية السابقة على تلك الاية مباشرة في قوله سبحانه وتعالى : « ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذنٌ قل أُذُنُ خير لكم يُؤمن بالله ويُؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يُؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » [سورة التوبة :61]

وفي ضوء هذا السياق يرجح القول بأن الضمير في "يرضوه" عائد على الله والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن في توحيده عدولاً عن تثنية دلالة على توحد الرضاءين ، وإشعاره بأن إرضاءه ــ صلى الله عليه و سلم ــ هو في الوقت ذاته إرضاء للخالق ــ تبارك وتعالى ــ ، إذ في ذلك دون ريب دعم لموقفه وسلوان له فيما تحمله من أذى هؤلاء المنافقين (65)

ومن مواطن الالتفات عن المثنى إلى الواحد ما ورد في سورة الكهف قوله تعالى: « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففنا بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين ىتت أكلاها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهوظالم لنفسه قال مأظن أن تبيد هذه أبدا » [سورة الكهف : 33ــ 35]

الآيات تتحدث عن تلك الجنة التي وهبها الله لأحد المتحاورين ، لكنّها بدأت بالتثنية لما يحمله ذلك من مفارقة ن فالذي حاز الجنتين كان واجبا عليه الشكر والإمتنان ، ومن لم يحز جنة كان من الطبيعي

أن يحسد الأول ويساوره إحساس بعدم تحقق العدل ، فلماذا لاتكون له جنة ولصاحبه جنة ؟ لكن ماحدث أن الأول كفر بنعمة الله ، والثاني لم يزده ما رآه إلاّ ايمانا واحتسابا .

فالالتفات هو الذي أظهر المفارقة ، فحين عبر عن الجنتين بصورة المفرد دفع المتلقي إلى التساؤل عن دلالة التثنية في أول الآيات (66)

ومن مواطن التحول عن التثنية إلى الإفراد كذلك قوله ــ عز وجل ــ مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام« فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين » [سورة الشعراء : 16]

حيث وردت لفظة "رسول" مفردة مع أن ظاهر السياق يقتضي تثنيتها (فقولا إنا) .

لقد تساءل المفسرون عن سر إفراد تلك اللفظة هنا وتثنيتها في سياق آخر للقصة ذاتها في سورة طه في قوله تعالى : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل » [سورة طه : 47]

فأجاب بعضهم بأن لفظة "رسول " من الألفاظ والأوصاف المشتركة ، فهي تعني المرسل أو متحمل القول حينا ، والرسالة أو القول المتحمل حينا آخر ، فهي بالمعنى الأول في سورة طه وبالمعنى الثاني في سورة الشعراء ومن ثمّ ثنيت في الأولى لأنهما رسولان ، وأفردت في الثانية لأنها رسالة واحدة (67)

وللدكتور حسن الطبل تفسير آخر ، إذ يرى أن التثنية في لقد تداولت المعاجم اللغوية تعريفات كثيرة للالتفات تتفاوت في مدلول كلمة " لفـــت" ومشتقاتها.

فالالتفات في اللغة من مادة "لفـــت" و وَرَدَ في لسان العرب " لإبن منظور" : لفت وجهه القوم أي صرفه,من اللّفت والتفتَ إلى الشيء وتلفت إليه إلتفاتا,أي صرف وجهه إليه.(01) و في هذا المعنى جاء قوله تعالى ((قالوا يا لـــــوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأشر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إنّ موعدهم الصبح وأليت الصبح بقريب) .(سورة هود81)

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه لوط – عليه السلام – ومن تبعه من قومه بترك الالتفات بوجوههم كي لا يروا ما نزل بالكافرين من عذاب , لكن إمرأته كانت من العاصين لأمر ربها والتفتت بوجهها , فكان هلاكها بحجر من السماء وورد في كتاب الله الحكيم قوله تعالى : ((اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا)) (سورة يونس 87)

قال أبو عبيدة : (اي لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا عنه)(02)

وورد في الحديث النبوي الشريف لفظ الالتفات بمعنى اللي والصرف يقال صرف الوجه يميناً ويسارًا في الصلاة أي " التـــــــــــف ".

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الالتفات في الصلاة، فقال هو :(اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد) (03)

ويقال لفته عن رأيه أي صرفته وفلانًا يلفت الكلام لفـــــتا يرسله على عواهنه لا يبالي كيف جاء , ولفت اللحاء عن العود قشره(04)، ومن معانيه أيضا ،المباوحة النفسية للسلوك الإنساني،ومن ذلك حديث الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم –إذ ورد فيه : (لا تتزوجنَ لفـــــوتًا) (05)

و اللّفوت من النساء ،الكثيرة التلفت ، و المرأة النمامة ومن معاني الالتفات في اللغة :

الليّ يقال : لَفَــتَهُ ، يَلفِــتُهُ،لُفــــــتًا ، أي لواه على غيره وجهته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله يبغض البليغَ من الرجال الذي يلفتُ الكلام كما تلفت البقرة الخَلَى بلسانها) أي يلوي الكلام بلسانه مبالغا في إظهار بلاغته ،وفصاحته. (06)

"والألفت الرجل الأعسر،ويقال لَفِـــــتَ الرجل بكسر الفاء لفتًا:حَمُقَ وعمل بشماله دون يمينهّ،واللفتاء:الحولاء،واللفوت من معانيها أيضا الناقة الضجور عند الحلب تلتفت فتعض الحالب ،واللفيتة: الغليضة من العصائد لأنها تلفت أي تلوى ".(07)

ونجد من معانيه أيضا الإصغاءأي إلتفاتك للإصغاء لمن يحمل لك خبراً ، ومن المعاني أيضا القتل ،وقَتَلَ هو مقلوب لَفَتَ ويحملان المعنى ذاته،يقال لَفَتَ الشيء و قتله،ومعناه القبض أيضا ،قال الفراهيدي :اللفت ليّ الشيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته"(08)

مما تقدم ذكره نجد أن المادة اللغوية أو المعجمية الإلتفات تدور في عمومها حول محور دلالي واحد هو الصرف والليّ و التحول عن الجهة المستقيمة و الطبيعية،ثم أطلق بعد ذلك على الفن البلاغي الذي نحن بصدد دراسته.

تعريـــــــف الالتفـــــــات اصطـــــلاحـــــــا :

في موروثنا البلاغي طائفة من المصطلحات و التعاريف التي تواردت مع مفهوم "ا لالتفات"وقد أرجع الدارسون ظهوره إلى القرن الثاني الهجري،ونحن إذا تأملنا مسيرة هذا المصطلح في مؤلفات ومصنفات هذا الموروث نجده يختلف عبر العصور،ويتأرجح بين علمي المعاني والبديع.

فأقدم إشارة لهذا المصطلح في تراثنا هي تلك التي يرويها أبو اسحاق الموصلي عن الأصمعي (ت213ه)إ ذ يقول:قال لي الأصمعي : أتعرف إلتفاتات جرير؟قلت:و ماهي؟فأنشدني.

أتنسى إذ تودعنا سُلَيْمى بعود بشامة سَقى البشام(09)

ثم قال:"إما تراه مقبلا على شعره إذ إلتفت البشام فدعا له ". هذه الرواية التي تداولتها كتب التراث تدل على أن مصطلح الإلتفات. (10)

كان معروفا بالفعل منذ القرن الثاني الهجري ، ومن جهة أخرى تدل على أن مفهومه أنذاك كان يختلف عن مفهومه الذي إستقر عليه لاحقا ,وهذا ما يبدو جلياً في بيت جريرالسابق،وفي تعليق الأصمعي عليه، إذ أن دعاء جرير للبشام بعد الإقبال على شعره إنما هو مجرد تحول عن معنى إلى معنى أخر و لعل الأصمعي بهذه الإلتفاتة قد سبق غيره إلى وضع إسم "الإلتفات"دون أن يذكر له تعريفا محددا.

لقد ورد مفهوم الإلتفات البلاغي عند إبن المعتز(ت296) فقال :"هو إنصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبارإلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الإلتفات الإنصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى أخر (11)

وقد مثل ابن المعتز مفهومه للالتفات ببيت اختاره لجرير يقول فيه:

طرب الحمام بذي الاراك فشاقني لا زلت في غلل وأيك ناضر (12)

فقد إنتقل الشاعر من أسلوب الغيبة في قوله(طرب الحمام)إلى المخاطبة في قوله (لا زلت),وفي الوقت نفسه إنتقل من المعنى الذي كان اخذا فيه من ذكره الحمام الى الدعاء للحمام بالرى والطعام. (13)

أما قدامة بن جعفر (ت337ه)فعرفه بقوله:"ومن نعوت المعاني الإلتفات,و بعض الناس يسميه الإستدراك ,وهو أن يكون الشاعر آخِذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أوظن بأن رادا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه ,فيعود راجعا على ما قدمه فإما أن يؤكده او يذكر سببه أو يجلِ الشك فيه"(14)

وبمقارنة مفهوم الإلتفات عند قدامة بن جعفر ومفهومه عند إبن المعتز يتضح أن هذا فرع من ذاك فهو داخل تحت الجزء الأخير من تعريف إبن المعتز ,ولئن كان هذا الأخير يجعله إنصرافا من معنى إلى غيره فإن قدامة يؤكد على أنه رجوع على المعنى نفسه لتأكيده أو ذكر السبب أو إحالة الشك فيه.

ولم ينفرد قدامة وحده بهذا المفهوم عن الإلتفات بل نجد أن أبا هلال العسكري (ت:395ه)يجعله أحد الضربين فقال :

(الإلتفات على ضربين : فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره ،والضرب الثاني أن يكون الشاعر آخذا في معنى و كأنه يعترضه شك و ظن أن رادا يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه فإما أن يؤكده او يذكر سببه او يزيل الشك عنه). (15)

بتأمل هذين الضربين في تعريف العسكري نجده يتفق مع ابن المعتز في الجزء الاخير من تعريفه للإلتفات و لو أنه كان أكثر دقة ووضوحا حيث أشار الى

الصلة الوثيقة بين المعنى الذي يكون فيه الشاعر و المعنى الذي ينصرف في حين يتفق مع قدامة بن جعفر في الجزء الثاني من تعريفه.

وإذا خطونا قدما نحو القرن الخامس الهجري يطالعنا أبو علي لحسن بن رشيق القيرواني (ت:456ه)في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وأرائه ".

بآراء و شواهد يذكرأنه نقلها عن السابقتين ,ثم بعد تمحيص لها امثال إبن المعتز و قدامة و العسكري.

عرف الإلتفات فقال :"وهو الإعتراض عند قوم ،وسماه أخرون ،الإستدراك حكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر أخذا في معنى ثم يعرض عن الأول إلى الثاني فيأتي به.

ثم يعود إلى الأول من غير ان يخل في شيء مما يشد الأول ".(16)

والملاحظ أن إبن رشيق لم يعترض على أية تسمية سابقة بل نجده يستحسن بعضها مثل قوله :"و قد احسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله:هو انصراف المتكلم...". (17)

وأما أبو منصور الثعالبي (ت:429ه) فقد أفرد لموضوع الإلتفات فصلا خاصا في كتابه:"فقه اللغة و سر العربية" وكان تعريفه له كالأتي:"هو ان تذكر الشيء و تُتّم معنى الكلام به،ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه".(18) أما الخطيب التبريزي (ت:502ه)صاحب كتاب"الوافي",يعرف الإلتفات فيقول:"وقيل الإلتفات.أن يكون الشاعر في الكلام فيعدل عنه إلى غيره ،قبل أن يتم الأول ،ثم يعود إليه

فيتمه ،فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول و زيادة حسنة".(19) وأما الزمخشري (ت:538ه)قد صرح بأن هذا الأسلوب يسمى الإلتفات في علم البديع ،و ذكر أنه يكون من الغيبة إلى التكلم و الملاحظ أنه أول من عني ببيان القيمة الفنية لتلك الظاهرة وقد سايره فيما ذهب إليه في هذا الصدد كثير من البلاغيين الذين جاؤا بعده أمثال السكاكي و القزويني والعلوي و غيرهم.

أما الفخر الرازي (ت:606ه) فتحدث عن الإلتفات في كتابه" نهاية الايجاز في دراية الإعجاز "فيقول:"هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس أو هو تعقيب الكلام بجملة تامة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتميما له في المعنى على جهة أو غيره".(20)

أما ضياء الدين إبن الأثير(ت:637ه)فقد عرف الإلتفات في كتابه"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"وذلك ضمن القسم الخاص بالصناعة المعنوية ومما أضافه تعريفه للإلتفات تعريفًا لغويًا فقال:"هو مأخوذ من إلتفات الإنسان عن يمينه و شماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ثم يربط التعريف اللغوي بالتعريف البلاغي فيقول:"وكذلك يكون هذا من الكلام خاصة،لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة،كإنتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب،أو من خطاب غائب إلى حاضر ،أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل ،أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك".(21)

وبهذا جعل للإلتفات ثلاثة أقسام:الأول من الغيبة إلى الخطاب والعكس والثاني الرجوع من فعل المستقبل إلى فعل الأمر،والثالث في الإخبار بالماضي عن المستقبل،وكان إبن اللأثير بذلك قد وسع دائرة الإلتفات مما أثر على بعض البلاغيين الذين درسوه بعده و يتجلى ذلك على سبيل المثال في تعريف يحي بن حمزة العلوي (ت:849ه)للإلتفات قوله:"هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول" . (22) أما حازم القرطجنّي(ت:684ه)في كتابه"مناهج البلغاء وسراج الأدباء"فيعرف الإلتفات بقوله:"...وهم يسامون الإستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب،فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة،وكذلك أيضا يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافاً،فيجعل نفسه مخاطبًا وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب ،فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ،وإنما يَحـــسُنُ الإنتقال من بعضها إلى بعض،وهو نقل معنوي لا لفظي،وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه".(23)

ويعترف بدر الدين الزركشي (ت:894ه)في كتابه"البرهان"الإلتفات فيقول:" الإلتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية و إستدرارًا للسامع وتجديدًا لنشاطه,وصيانة لخاطره من الملل و الضجر ,بدوام الأسلوب الواحد على سمعه".(24) و يشير الزركشي إلى أن مما يقرب من الإلتفات التحول في المجال العدد ثم يتتبع أقسامه المتحصلة عن الإنتقال من كل حال من أحواله الثلاث(الإفراد,التثنية,الجمع)إلى الحالين الآخرين.

أقســـــــــــــــام الالتفـــــــــــــــــات:

نود أن نحدد أبرز المجالات والأقسام التي تحقق فيها الإلتفات و أبرز مجالاته في القرآن الكريم هي:

أولاً:الصيـــــــــــــــغ

يتحقق الإلتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان في(نسق واحد)من مادة معجمية واحدة من ذلك مثلاً,مخالفةٌ بين صيغ الأفعال (الماضي,المضارع و الأمر)او بين صيغتي نوع واحد ،أو بين صيغ الأسماء ،أو بين صيغة من صيغ الإسم و أخرى من صيغ الفعل أو ما إلى ذلك مما لا يتمثل في اللغة الفنية عامة وفي لغة القرآن إلا لمرامي و أسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة ،ونجد إلتفاتاً من هذا القبيل في القرآن الكريم بين صيغتي(نزل وأنزل)و (نبأ و أنبأ)، (اسطاع و إستطاع),(نجى وأنجى)، ثم بين صيغتي الإسم:(ضلال وضلالة)، (الحياة والحيوان)، (أبناء وبنيّ)، (شاكرًا وكفورًا)، (مشتبه ومتشابه).

يقول صاحب المثل السائر:"اعلم أيها المتوشح لمعرفة البيان إن العدول من صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية إقتضت ذلك،وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي إطلع على أسرارها ولا تجد ذلك في كل كلام،فإنه أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما،وأغمضها طريقا".(25)

ثانيا: الضمائـــــــر

إن القارئ المتأمل للقرآن الكريم تستوقفه وتثير تأملاته تلك المغايرة الواردة في الضمائر ، فإذا ما تعمق في فهمها

أدرك أنها مغايرة مقصودة وليست عفوية،ومن أمثلة الآيات الكريمات التي تستوقف القارئ قوله تعالى:"عبس وتولى*أن جاءه الأعمى*وما يدريك لعله يزكى".(سورة عبس3،2،1)

وقوله:"...أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء".(سورة النور31) ، والآيات الثماني الأولى من سورة الأعلى.

وهو على ستة أقسام بحسب الضمائر الثلاثة(التكلم،الخطاب والغيبة)وهي كالأتي

1/الإلتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومن أمثلته قوله تعالى:"ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعثنا منهم إثني عشر نقيبا" (سورة المائدة 12),فحوّل الكلام من الغيبة إلى التكلم في قوله(أخذ الله) إلى التكلم في قوله :(بعثنا)، وبحسب مقتضى السياق الأول يكون القول :"ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعث منهم إثني عشر نقيبا".

ومثله أيضا قوله تعالى:"والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً وسَقَيناهُ ..."(سورة فاطر09)، وفي هذه الآية الكريمة فإن فائدة الإلتفات أنه كما كان سوق السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد

موهما بالمطر دالاً على القدرة الباهرة والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره،عَدَلَ عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأنه أدخلُ في الإختصاص،وأدل عليه وأفخمُ.(26)

ومن أمثلة قوله تعالى:"فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح". (سورة فصلت 10)

فهنا عدل عن الغيبة في(قضاهن)و(سواهن) إلى التكلم في قوله و(زينا) فقال الزركشي:"للإهتمام بذلك ،والإخبار عن نفسه،بأنه جعل الكواكب زينة السماء الدنيا و حفظا،تكذيبا لمن أنكر ذلك". (27)

2/الإلتفات من التكلم إلى الغيبة:

وهو من الأنواع التي وردت كثيرا في القرآن الكريم ومن أمثلته قوله عز وجل:"إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وإنحر".،(سورة الكوثر 1،2) فحول الكلام من المتكلم (أعطيناك)إلى الغيبة في قوله:(فصل لربك)وفي هذا تعظيم لجلالته وإفراد العبودية والتوحيد

ومما ورد في هذا النوع من الإلتفات قوله تعالى:"وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين

إحسانا وذي القربى واليتامى و المساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون".(سورة البقرة 83)

فإنتقل من التكلم (اخذنا) إلى الغيبة "الله "ولو تتبعنا السياق الأول لكان القول(لا تعبدون إلا إيانا)، وفي هذا التحول دلالة على العظمة هذا ناهيك عما تحويه الآية من دعوة للإمتثال والإنتهاء حيث قال "لا تعبدون" ولم يقل :

"أعبدوا" .لأنه التعبير بالخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر. (28)

3/الإلتفات من التكلم إلى الخطاب:

ومن أمثلته قوله تعالى:"ومالي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون" (سورة يس 22)و الأصل:"وإليه أرجعُ"فإلتفت من التكلم إلى الخطاب ،وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ،وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما،ثم إلتفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

ومثل هذا النوع أيضا قوله عز وجل :"قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين*و إن أقيموا الصلاة و إتقوه وهو الذي إليه تحشرون".(سورة الأنعام 71،72) ,فهنا إلتفات من صيغة التكلم (لنسلم)إلى صيغة المخاطب (وأقيموا الصلاة و إتقوه),يقول أبو بكر الرازي:فإن قيل:هب أن المراد ما ذكرتم،لكن ما الحكمة في العدول عن هذا اللفظ الظاهر والتركيب الموافق للعقل إلى ذلك اللفظ الذي لا يهتدي العقل إلى معناه إلا بالتأويل ؟ قلنا :وذلك لأن الكافر ما دام يبقى على كفره كان كالغائب الأجنبي,فلا جرم إن يخاطب بخطاب الغائبين فيقال:"و أمرنا لنسلم لرب العالمين"وإذا أسلم وآمن ودخل في

الإيمان صار الحاضر،فلا جرم إن يخاطب بخطاب الحاضرين ويقال له:"وإن أقيموا الصلاة وإتقوه وهو الذي إليه تحشرون "فالمقصود من ذكر هاذين النوعين من الخطاب،التنبيه على الفرق بين حالتي الكفر والإيمان،وتقريره أن الكافر بعيد غائب، والمؤمن قريب حاضر و الله أعلم.(29)

4/الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ومن أمثلته قوله تعالى:"حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم "،(سورة يونس 22) "وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم.لتعجبه من فعلهم وكفرهم إذ لو إستمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة"(30)

ومثل هذا الإلتفات نجده في قوله تعالى:"و لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل أية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن إتبعت أهواءهم من بعدهم ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين *الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون",وفي هذين الآيتين خاطب المولى عز وجل رسوله:

(أ تيت،قبلتك،أنت،إتبعت،جاءك،إنك)ثم عدل عنه إلى الغيبة(يعرفونه)، قال أبو حيان الأندلسي:(انه لما فرع من الإقبال عليه بالخطاب،أقبل على الناس فقال:"الذين أتيناهم الكتاب"و إخترناهم لتحمل العلم و الوحي،يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآية السابقة و أمرناه و نهيناه،لا يشكون في معرفته،ولا في صدق أخباره،بما كلفناه من التكاليف التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة،كما في كتابهم من ذكره ونعته).(31)

5/الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومثله قوله تعالى:"لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا و قالوا هذا إفـــــــــــــك مبين"(سورة النور12) ، في هذه الآية الكريمة عدول يتمثل في قوله عز و جل (ظن المؤمنون) حيث أسند فعل الظن إلى الإسم الظاهر،و (الإسم الظاهر من باب الغيبة)لا إلى الضمير المخاطبين الملائم لظاهر السياق "ظننتم".

وهو عدول يؤدي دوره في تجسيد المبالغة في عتاب الله عز وجل للمخاطبين ,ففي التحول عن مخاطبتهم "سمعتموه"إلى الإخبار عنهم "ظن المؤمنون"إشعار لهم بأنهم حين أفاضوا في هذا الحديث المؤذي للرسول صلى الله عليه وسلم،ولم يبادروا إلى نفيه أو يجاهروا بتكذيب مروجيه،قد تنكبوا–وهم مؤمنون–النهج الأمثل الذي تقتضيه صفة الإيمان(32) ، ومن ثم كان إخراج هذه الصفة فيهم مخرج الشك مبالغة في هذا العتاب و تحذيرا من الإرتكاس في مثل هذا المسلك،وذلك في قوله سبحانه بعد ذلك في سورة النور:"يعظكم الله إن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين".(33)

ومن أمثلة هذا النوع من الإلتفات قوله تعالى:"إتخذ الرحمن ولدا ،لقد جئتم شيئا إدّا"،(سورة مريم) ولم يقل(لقد جاؤا) للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا عليه منكرا عليه قوله،كأنه يخاطب به قوما حاضرين.

6/الإلتفات من الخطاب إلى التكلم :

ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى:(قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون),على أنه سبحانه وتعالى أنزل نفسه منزلة المخاطب،فالضمير في "قل"للمخاطب وفي "رسلنا" للمتكلم،و إن كان العلماء قد إتفقوا على أنه لم يرد شاهد في القرآن الكريم على هذا النوع من الإلتفات و إكتفوا بالتمثيل لهذا النوع بقول علقمة الفحل (34)

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان المشيب

تكلفني ليلى و قد شط وليهـــــــــا و عادت بيننا عواد و خطـــــــــوب.

فقد إلتفت الشاعر من الخطاب(بك)في البيت الأول إلى التكلم (تكلفني) في البيت الثاني و مقتضى السياق أن يقول (تكلفك) والإمام الزركشي عد قوله تعالى:"فأقضي ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا،إنا أمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى" إلتفات و رأى أنه إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالإلتفات واحدا،فأما من إشترطه فلا يحسن أن يمثل به (35)

ثـــــالثـــــا:إلتفـــــــــــــات العـــــــــــدد

يحفل القرآن الكريم بالعديد من مواطن الإلتفات في مجال العدد(الإفراد،التثنية و الجمع)و نود أن نتوقف إزاء بعض هذه المواطن في كل صورة من الصور الثلاث التالية:

أ/بين الإفراد و الجمع

ومن ذلك إفراد السمع وجمع الأبصار والقلوب في مثل قوله تعالى في سورة البقرة"ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم و على أبصارهم غشاوة"(سورة البقرة 07),فلقد جاءت لفظة "سمعهم" مفردة تتوسط جمعين "قلوبهم وأبصارهم"وهي بذلك تشكل في نسق الآية الكريمة تحولين:أ ولهما عن الجمع إلى الافراد،والثاني عن الإفراد إلى الجمع.

ومن مواطن الإلتفات عن الإفراد إلى الجمع قوله سبحانه وتعالى:"وإتخذوا من دون الله ألهة ليكونوا لهم عزا*كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا",ففي الآية الثانية جاء إسم يكون – العائد على الألهة–ضمير جمع,ثم جاء الخبر عنه مفردا"ضدا"عدولا عن "أضداد" التي يقتضيها السياق،وهو عدول يحقق غايتين:

الأولى:التوافق الموسيقي بين فواصل الآيات،والثانية هي الدلالة على"توحد"موقف الألهة يوم القيامة في معادة هؤلاء الكفار الذين عبدوهم من دون الله،فتوحيد الضد هو–كما ذكر المفسرون – لتوحد المعنى الذي تدور عليه مضادة هؤلاء الألهة للكفار ،إذ أنهم يتفقون على هذه المضادة فيكونون كالشيء.(36)

ب/بين الإفراد والتثـــنية:

ومن أمثلته قوله تعالى:"يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"(سورة التوبة 62)

فهنا عدول عن التثنية الضمير "يرضوهما"إلى إفراده "يرضوه" فالضمير في"يرضوه"عائد على الله و الرسول(ص) و إن في تثنيته دلالة على توحد الرضاء ين وإشعار بأن ارضاءه صلى الله عليه وسلم هو في الوقت ذاته إرضاء للخالق عز وجل،إذ في ذلك دون ريب دعم لموقفه وسلوان له في ما تحمله من أذى هؤلاء المنافقين فشأن الإرضاء في توحيده في تلك الآية الكريمة هو شأن الطاعة التي وحدها عز وجل في قوله تعالى:"و من يطع الرسول فقد أطاع الله من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا".(37)

ج/بين التثنية والجمع:

من المواطن القرآنية التي تحقق فيها تحول عن التثنية إلى الجمع قوله سبحانه و تعالى:"و هذان خصمان إختصموا في ربهم"،(سورة الحج 19) حيث أسند فعل الإختصام إلى ضمير الجماعة "إختصموا" لا إلى ضمير التثنية"إختصما"الملائم

لظاهر السياق,يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية:(...الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل:هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله "هذان " للفظ و"إختصموا" للمعنى كقوله:ومنهم من يستمع إليك حتى إذا

خرجوا...ولو قيل:هؤلاء خصمان أو إختصما جاز–يراد المؤمنون والكافرون–).(38)

الالتفات العددي في القرآن الكريم ـــ جمع ودراسة ـــ :

كما سبق وأن أشرنا فقد مر مصطلح الالتفات البلاغي بتغيرات كثيرة ، وظهر عند البلاغيين على صور متعددة ، ويرتضي كثير من دارسي البلاغة المعاصرين أن يعرفوا الالتفات وعينهم على أسلافهم :"بأنه الإنتقال في الكلام من صيغة إلى أخرى ن أو من أسلوب إلى آخر على خلاف ما يقتضيه الظاهر " (39)

ويضيق مفهوم الالتفات عند عدد من العلماء والدارسين ليقتصر على الإنتقال في الضمائر(40) ، ويتسع قليلا عند آخرين ليشمل الإنتقال في الأفعال إلى جانب الضمائر(41)، ويتسع أكثر عند غيرهم ليشمل الإنتقال في العدد أيضا (42)، ويمتد سعة ليشمل التذكير والتأنيث (43)، والتعريف والتنكير (44) ، ويجعله بعضهم يتسع ليشمل "كل تحول أو انكسار في نسق التعبير لا يتغير به جوهر المعنى أو البنية العميقة " (45).

ويعد ابن وهب من أوائل من جعلوا الإنتقال في العدد من باب الالتفات وسماه الصرف ،يقول : " وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى االغائب ، ومن الواحد إلى الجماعة "(46)

وجعل ابن الأثير في " الجامع الكبير " الالتفات في ثمانية أقسام منها الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد " (47)، ورأى الزركشي أن : " مما يقرب من الالتفات الإنتقال من خطاب الواحد و الاثنين والجمع إلى خطاب آخر ، وهو ستة أقسام :

الأول: الإنتقال من خطاب الواحد لخطاب الإثنين كقوله تعالى : « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض » [سورة يونس :78]

الثاني : خطاب الواحد إلى خطاب الجمع كقوله تعالى:« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء [سورة الطلاق :01]

الثالث : من الإثنين إلى الواحد كقوله تعالى:«فمن ربكما يا موسى »وقوله: « فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى» [سورة طـــه : 49 ، 117]

الرابع: من الإثنين إلى الجمع كقوله تعالى : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » [سورة يونس : 87]

وفي انتقال آخر من الجمع إلى الواحد ، فإنه ثنّى ثم جمع ثم وحّـــد توسعا في الكلام ، وحكمة التثنية أن موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة ، ويحكمان في الشريعة ، فخصهما بذلك ثم خاطب

الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة ، لأن الجميع مأمورون بها ثم قال لموسى وحده (وبشر المؤمنين) لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار .

الخامس : من الجمع إلى الواحد كقوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » [سورة يونس :87]

السادس : من الجمع إلى التثنية كقوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا » [سورة الرحمان : 33، 34] (48)

أما بالنسبة لتعريف الاتفات العددي فقد اتفق جل من تناول ظاهرة الالتفات بأنه :" العدول بين المفرد والمثنى والجمع من الألفاظ ."

وأودّ أن أشير قبل عرض نماذج مختلفة من إلتفات العدد في القرآن الكريم أنها جاءت في مجملها في سياق الحديث عن الذات الإلهية ، وقد جاءت على صورتين غالبا من صور الالتفات الست وهما : الإنتقال من المفرد إلى الجمع ، والإنتقال من الجمع إلى المفرد .

ولعل أبرز الدلالات التي تتركز حولها أمثلة الالتفات القرآنية المتعلقة بالذات الإلهية هي وحدانية الله سبحانه وتعالى ، عظمته والقرب منه ، أو البعد عنه ، والقوة والشدّة أحيانا ، وقد يجتمع عدد من هذه الدلالات في النص واحد .

أولا : الالتفـــــــات من الواحــــد إلى المثـــــــــى

جـــاء في محكم التتريل قوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعـــنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان » [سورة المائدة : 64]

فلقد جاءت لفظة اليد مثناة في دحض تلك القرية بعد أن ذكرت مفردة ألسنة أصحابها و مردّديها لعنهم الله ، وجاء في تفسير هذا العدول على لسان بعض المفسرين : أن اليهود قد جعلوا قولهم " يد الله مغلولة " كناية عن نسبة البخل إلى الله جـــــلّ وتتره عن ذلك ، فأجيبوا على وفق كلامهم – أي بطريق الكناية – فقيـــــــــــل :

" بل يداه مبسوطتان " بتثنية اليد ليكون ردّ قولهم وانكاره أبلغ في الدلالة على إثبات غاية السخاء له سبحانه وتعالى أي ليس الأمر على ما وصفتموه من البخل ، بل هو جواد على سبيل الكمال (49)

وكقوله تبارك وتعالى: « قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين » [سورة يونس :78]

فضمير المفرد يعود على موسى وضمير المثنى (لكما) يعود على موسى وهارون ..

<u>ثـــانيــــــــا:</u> الالتـــفـــــات من الواحــــد إلـــى الجمـــــــع

كقوله تعالى:« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير »[سورة البقرة : 8–10]

الالتفات في هذه الآية المباركة في تحول الخطاب من المفرد في قوله تعالى (تعلم) إلى خطاب الجمع في قوله تعالى (مالكم) وسر هذا التحول هو كون الخطاب في (تعلم) خطاب عام لكل فرد ولهذا عطف عليه قوله تعالى (ومالكم) بصيغة الجمع قال فيه أبو حيّان : " انتقل من ضمير الإفراد في الخطاب إلى ضمير الجماعة وناسب الجمع هنا لأن المنفي بدخول من عليه صار نصا في العموم فناسب كون المنفي عنه يكون عاما أيضا " (50)

حتى لو كان الخطاب خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم كما أورد ابن كثير إلا أنه يتعداه بالتبليغ إلى كل فرد في الأمة وفيه قـــدر كبير من الإلزام بنشر العلم والمعرفة خاصة مـــا يتعلق بأمور العقيدة وهذا مــــا حدا بالأسلوب إلى صيغة الجمع مع ثبات العقيدة في الولاية والنصرة فهي راسخة في نفس المخاطب الأول " تعلم " وليست كذلك في نفوس بعض أفراد الأمة ولهذا ناسب الالتفات إلى الجمع مع ذلك الأمر الخطير (51)

وقوله تعالى :« مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون» [سورة البقرة : 17]

قال البيضاوي : " لما عدّد الله تعالى فرق المكلفين أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هـــــــــــزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها ، وإنما كثر النداء في القـــــــرآن الكريـــــــــم بـــ " يا أيها" لإستقلاله بأوجه من التأكيد ،و كل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظــــام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها " (52)

ومن مواطن الالتفات من المفرد إلى الجمع ما جاء في قوله تعالى: «والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولائك أصحاب النار هم فيها خالدون » وذلك بعد قوله تعالى:«فإما يأتينكم مني هدى» [سورة البقرة:39،40]

فالالتفات في قوله تعالى (بآياتنا) بضمير الجمع بعد ضمير المفرد في قوله تعالى (مني) وكان مقتضى الظاهر – بأياتي – بدل – بآياتنا – قال أبو السعود : " وإيراد (نا) العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها . (53)

والآيات هنا الكتب المنزلة على جميع الأمم أو معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أوالقرآن الكريم أو دلائل الله في مصنوعاته ، ولهذا أضافها المولى العلي القدير إليه بضمير العظمة ليدل على أن جميع تلك الآيات التي أقامها الله سبحانه وتعالى هي نعمة عظمى على العباد تستوجب دوام الشكر ، والتفكير فيها للوصول بها للصراط المستقيم ولهذا ظهرت نون العظمة في (آياتنا) وكـــــــان الالتفـــــــــــات هـــــــــو الأبلـــــــــغ (54)

وجاء قوله تعالى :« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنوليّنك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أُوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عمّـــا يعملون » [سورة البقرة :144]

تحقق فيها التفات عددي في قوله تعالى :(وما الله بغافل عمّا تعملون) ففيه عدول عن لفظ المفرد إلى الجمع ، وقد يحقـــق هــذا النوع إشارة إلى وحــدة المسلميــن بقبلتهم ، أنهم يشــار إليهم بقائــدهم محمــد – صلى الله عليه وسلم – وأن استقبال القبلة سبب وحدة المسلمين ،وفي هذه القراءة بشارة بحسن العاقبة وعظيم المثوبة وجزيل الأجر ، فلتثبتوا على ما أنتم عليه ولتصبروا غير مبالين بما تلاقون ، ولن يضيّع الله لكم مثقال ذرة (وما الله بغافل عما تعملون) ، فالله تعالى ليس بِســاهٍ عن أعمالكم ولكنه مُحصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة (56) ، وذكر الألوسي ، في قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن الجزاء فهو وعيد للمؤمنين ، وقُرئ (يعملون) على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين (57)

قوله تعالى :« سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوهسبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» [سورة الأعراف : 146]

يبدو أن الانتقال إلى الجمع قد حمل دلالة تعظيم الذات الإلهية ليعظم ما اقترفه المتكبرون بتكذيبهم بآيات الله، أما استخدام الإفراد في

(آياتي) وما يدل عليه الإفراد من القرب فيشير إلى عظم ماخسره الذين صرفوا عن القرب من الله تعالى (58)

ولا يعني ماسبق ذكره أن الإفراد يحمل دلالة القرب والجمع يحمل دلالة التعظيم دائما ، إذ يبدو الانتقال من المفرد إلى الجمع قي قوله تعالى: «فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأُملي لهم إن كيدي متين » [سورة القلم : 44، 45]

لافتا مثيرا للدهشة ،" فذرني" التي تحمل دلالات القوة والعنف صيغت بالمفرد ، وأما الإستدراج الذي لا يحمل دلالة القوة المباشرة صيغ بالجمع ويبدو لنا أن الإفراد في "ذرني " حمل دلالة أقوى واكثر إنسجاما للتعبير عن هول إنفراد الذات الإلهية بالمكذبين ، وهي الدلالة نفسها التي تحملها العودة إلى الإفراد في "أملي " ، ففي الإفراد تعبير عن تدخل الله المباشر بهذا الأمر وليس من خلال أي من جنوده ، وفي ذلك تعظيم لذنب المكذبين (59)

إن الحديث عن الدلالات التي تتركز حولها أمثلة الالتفاف القرآنية و المتعلقة بالذات الإلهية ووحدانية الله سبحانه وتعالى عظمته والقرب منه ، أو البعد عنه ، والقوة والشدة قد تجمتع في النص الواحد ، فلو نظرنا – على سبيل المثال – في قوله تعالى من سورة الكهف « افحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنّا اعتدنا جهنّم للكافرين نُزلا » [سورة الكهف : 102]

يمكن أن نرى في الإفراد " عبادي ، من دوني " تعبيرا عن وحدانية الله ، ثم يأتي الجمع "إنّا اعتدنا " مؤكدا عظمة الذات الإلهية وما يصدر عنها من أفعال بعد أن أزال شبهة الشرك حين أفرد ،وبذلك استطاع

الانتقال من المفرد إلى الجمع أن يحمل دلالة عِظم ما أعدّه الحق – تبارك وتعالى – من عقاب للكافرين ، ويحافظ في الوقت ذاته على تأكيد وحدانية الله تعالى (60)

و مما هو جدير بالملاحظة أن الالتفات من المفرد إلى الجمع يأتي في بعض الآيات المبدوءة بالقسم ، ومن أمثلة قوله تعالى: « فلا أقسم برب المشارق و المغارب إنّا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » [سورة المعارج : 40]

وقوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنّفس اللّوامة أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه [سورة القيامة: 01– 03]

وقوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌ بهذا البلد ،ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الإنسان في كبد [سورة البلد : 01– 04]

يظهر أن الإفراد في القسم جاء في مثل هذه المواضع لأن الذات الإلهية أرادت إظهار شدة تأكيد ما تقسم عليه ، فالإفراد يحمل هنا دلالة أقوى لأنه يؤكد على انفراد الذات الإلهية بالقسم ، ووحدانيتها ، وبعد ذلك الجمع فيحمل دلالة تعظيم أفعال الله تعالى (61)

ومن أبرز المواطن التي نجد فيها انتقالا من المفرد (الواحد) إلى الجمع في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى آيات تتضمن حديثا عن إنزال المطر ، وإخراج الزرع ومن أمثلة ما ورد من التفات عددي ، في هذا المجال قوله تعالى : « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا منه حباً متراكبا » [سورة الأنعام : 99]

وقوله تعالى:« الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به من نبات شتى » [سورة طه : 53]

وقوله تعالى : « وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » [سورة النمل : 60]

وقوله تعالى : «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها » [سورة فاطر : 27]

إذ يلاحظ أن إنزال الماء من السماء يأتي بضمير المفرد في حين يأتي "الإخراج" و" الإنبات " بضمير الجمع ، ويحمل الإفراد دفعـــا لأي شبهة من ارتبـــاط نـــزول المـــاء بغير الله سبحـــانه وتعالى، واختصاصه به (62)

وبعد تأكيد ذلك يأتي الجمع فيحمل تعظيما للخالق وفعل الخلق ، فإنبات النبات ، وإخراجه من الأرض شاهد من شواهد العظمة المباشرة على القدرة الإلهية

ثـــالـــثـــا: الالتفـــات من الاثنيـــن إلى الواحـــد

جاء في محكم التنزيل قوله تعالى : « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين [سورة التوبة : 62]

لقد اختلف النحاة والمفسرون في تحديد مرجع الضمير في الفعل "يرضوه "

ـــ فقيل : إنه يعود على الله ورسوله ، وإنما أفرد لتلازم الرضاءين

ـــ وقيل أيضا : إنه يعود على الرسول فحسب ، لأن الكلام في ايذائه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وإرضاءه

ـــ وقيل كذلك : إنه عائد على الله ـــ عز وجل ـــ فقط والتقدير : والله أحق أن يرضوه والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كذلك (63)

فعلى الرأي الأول تتضمن الآية الكريمة عدولاً عن تثنية الضمير " يرضوهما " إلى إفراده "يرضوه "، فهؤلاء الذين تخبر عنهم الآية الكريمة عن حلفهم للمؤمنين كي يرضوهم عن فئة من المنافقين (64) كانوا يتعمدون الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالإيذاء ويتقولون عليه الأقاويل ، وهذا ما أخبرت به الآية السابقة على تلك الاية مباشرة في قوله سبحانه وتعالى : « ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذنٌ قل أُذُنُ خير لكم يُؤمن بالله ويُؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يُؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » [سورة التوبة :61]

وفي ضوء هذا السياق يرجح القول بأن الضمير في "يرضوه" عائد على الله والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأن في توحيده عدولاً عن تثنية دلالة على توحد الرضاءين ، وإشعاره بأن إرضاءه ـــ صلى

الله عليه و سلم ــ هو في الوقت ذاته إرضاء للخالق ــ تبارك وتعالى ــ ، إذ في ذلك دون ريب دعم لموقفه وسلوان له فيما تحمله من أذى هؤلاء المنافقين (65)

ومن مواطن الالتفات عن المثنى إلى الواحد ما ورد في سورة الكهف قوله تعالى: « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففنا بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين ىتت أكلاها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهوظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبدا » [سورة الكهف : 33ــ 35]

الآيات تتحدث عن تلك الجنة التي وهبها الله لأحد المتحاورين ، لكنّها بدأت بالتثنية لما يحمله ذلك من مفارقة ن فالذي حاز الجنتين كان واجبا عليه الشكر والإمتنان ، ومن لم يحز جنة كان من الطبيعي أن يحسد الأول ويساوره إحساس بعدم تحقق العدل ، فلماذا لاتكون له جنة ولصاحبه جنة ؟ لكن ماحدث أن الأول كفر بنعمة الله ، والثاني لم يزده ما رآه إلاّ ايمانا واحتسابا .

فالالتفات هو الذي أظهر المفارقة ، فحين عبر عن الجنتين بصورة المفرد دفع المتلقي إلى التساؤل عن دلالة التثنية في أول الآيات (66)

ومن مواطن التحول عن التثنية إلى الإفراد كذلك قوله ــ عز وجل ــ مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام« فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين » [سورة الشعراء : 16]

حيث وردت لفظة " رسول " مفردة مع أن ظاهر السياق يقتضي تثنيتها (فقولا إنا) .

لقد تساءل المفسرون عن سر إفراد تلك اللفظة هنا وتثنيتها في سياق آخر للقصة ذاتها في سورة طه في قوله تعالى : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل » [سورة طه : 47]

فأجاب بعضهم بأن لفظة "رسول " من الألفاظ والأوصاف المشتركة ، فهي تعني المرسل أو متحمل القول حينا ، والرسالة أو القول المتحمل حينا آخر ، فهي بالمعنى الأول في سورة طه وبالمعنى الثاني في سورة الشعراء ومن ثمّ ثنيت في الأول قوله تعالى (رسولا) موافقة لما بد ا من خوف الإثنين (موسى وهارون)، فالتأكيد لاعلى أنهما رسولان يمنحهما حماية من بطش فرعون ن ويبعث في نفسيهما الطمأنينة والسكينة (68)

ولانبرح سورة طه حتى يشد انتباهنا التفات آخر في قوله تعالى : «فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى »[سورة طه : 117]

ففي إسناد فعل الشقاء إلى الضمير المفرد (المستتر) العائد على آدم عليه السلام عدول عن إسناده عن ضمير التثنية الذي يقتضيه ظاهر السياق (لك و لزوجك فلايخرجنّكما) ، وقد ذكر المفسرون في تحليل هذا العدول رأيين

ـــ الرأي الأول : أنّ في ضمان شقاء الرجل ـــ وهو قيم أهله ـــ شقاءهم ، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم ن فاختص الكلام

بإسناده إليه دونها ، وفي فلك هذا الرأي يدور قول أبي حيان الأندلسي : " وأسند الشقاء إليه وحده بعد اشتراكه مع زوجته في الإخراج من حيث كان هو المخاطب أولا والمقصود بالكلام ، ولأن ضمن شقاء الرجل شقاء أهله ، وفي سعادته سعادتهما ، فاختصر الكلام باسناده إليه دونها " (69)

ـــ الرأي الثاني : أن المراد بالشقاء التعب في طلب القوت ، وذلك على الرجل دون المرأة (70)

ومن الآيات الكريمات التي نجد فيها عدولا من الآثنين إلى الواحد أيضا قوله تعالى في شأن المنافقين: « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون » [سورة النور : 47]

وفي قوله تعالى: « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون» [سورة النور : 51]

حيث أسند الفعل" يحكم " إلى ضمير الإفراد المستتر لا إلى ضمير التثنية " ليحكما " كما يقتضي السياق ، وفي ذلك دلالة على توحد الحكم ، وإشعار بأن ما ينطق به الرسول ت صلى الله عليه وسلم ـــ هو بعينه حكم الله ـــ عز وجل ـــ ، أن هذا الذي يدعى الناس إلى الاحتكام إليه فيعرض عنه من طويت نفسه على النفاق ، ويذعن إليه من استضاء قلبه بنور الإيمان ، إنما هو منهج واحد شرعه العليم الخبير ، وينفذه ويحكم بمقتضاه رسوله الأمين (71)

رابـــعـــا : الالتـــفـــات من الاثنيــــــــن إلـــى الجـــمــــــــع

من هذا الباب وجدنا آيات قرآنية تحدثت عن آدم و زوجته فبدأت بالمثنى وانتهت بالجمع من مثل قوله تعالى : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مِمّـــــا كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتا ع إلى حين» [سورة البقرة : 36]

وقوله تعالى:« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونّنّ من الخاسرين، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتا ع إلى حين» [سورة الأعراف : 23 ـــ 24]

وقوله ـــ عز من قائل ـــ : « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينّكم مني هدى فمن اتّبع هُداي فلا يضل ولا يشقى » [سورة طه :122]

فهذا الالتفات يحمل دلالة الانتقال من فعل خاص وقع من آدم و زوجته إلى تعميم نتائجه على جميع الجنس البشري ، لأنه كما قال الزمخشري : " كما كان أصل الإنس و متشعبهم جعـــلا كأنـــهما الإنس كلهم " (72)

ومن أمثلته قوله تعالى: «وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة أقيموا الصلاة وبشر المؤمنين» [سورة يونس : 87]

ورد الالتفات في قوله : (واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة) بصيغة خطاب الجمع وذلك بعد خطاب التثنية في قوله تعالى : (إلى

موسى و أخيه وأن تبوءا لقومكما) ، فإنه توسع في هذا الخطاب فثنّــى ثم جمع ثم وحّــد ، فخاطب موسى وهارون عليهما السلام بالتبوء والاختيار في ذلك ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خصّ موسى بالبشارة التي هي الغرض تعظيما له وتفخيما لأمره ، لأنه الرسول على الحقيقة (73)

وقال ابن عطية :" الخطاب في قوله تعالى (وأقيموا الصلاة) لبني إسرائيل و واقع الآية هو تعميم الخطاب لكافة المؤمنين في كل زمان ومكان وذلك بدليل قوله تعالى (وبشر المؤمنين) " (74)

وجاء في قوله تعالى: « و داوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم و كنّا لحكمهم شاهدين» [سورة الأنبياء : 78] فانتقل من الإخبار بالتثنية في بداية الآية (و داوود وسليمان إذ يحكمان) لأن" داوود وسليمان " حكمان ، إلى الإخبار بالجمع "لحكمهم " لأن الحكم يشمل الكل أي الحاكمين و المتحاكمين معا (75) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الشعراء « قال كلاّ فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون » [سورة الشعراء : 15]

فانتقل الخطاب من التثنية إلى الجمع "إنّا معكم " ففي التثنية كان المخاطب هو" موسى وهارون " عليهما السلام ، أما في الجمع فيشملهما كما يشمل فرعون وقومه .(76)

ومن مواطن الالتفات من التثنية إلى الجمع قوله ــ عز و جل ــ :«هذان خصمان اختصموا في ربهم » [سورة الحج : 19]

حيث استند فعل الاختصام إلى ضمير الجماعة (اختصموا) لا إلى ضمير التثنية (اختصما) الملائم لظاهر السياق .

يقول الزمخشري عند تفسيره للآية الكريمة: الخصم صفة وُصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل : هذان فوجان أو فريقان مختصمان ، وقوله " هذان " للفظ و"اختصموا " للمعنى كقوله (ومنهم من يستمع إليك حتّى إذا خرجوا ....ولو قيل : هؤلاء خصمان أو اختصما جاز ـ يـراد المؤمنـون والكافرون ـ (77)

إن الخصمين المشار إليهما في الآية الكريمة هما في الأصل تلك الفرق أو المِلل المختلفة التي حددهما الآية السابقة ، وعلى ذلك فإن التثنية في " هذان خصمان " هي للدلالة على أن تلك الفرق سوف تستحيل يوم القيامة (وبعد أن يفصل الله بينها) إلى فريقين ـ مؤمنين وكفار ـ فحسب ، أما الجمع في "اختصموا " فمنظور فيه إلى الحال التي كانت عليها تلك الفرق في الدنيا من تعدد التسميات ، واختلاف المذاهب ، وتضارب المسالك في قضية العقيدة وتصور الأُلوهية (78)

ومن تلك المواطن قوله تعالى: « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لهما وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » [سورة فصلت : 11]

فتنزيل السماء والأرض في الآية الكريمة منزلة العقلاء في توجيه الأمر إليها و وصفهما بالاستجابة والانقياد يقول عنه الزمخشري :"

سر وصفهما بالطاعة بصيغة جمع المذكر العاقل (طائعين) عُدُلاً عن صيغة المثنى المؤنث (طائعتين) التي يقتضيها السياق (قالتا) وعن صيغة جمع المؤنث (طائعات) الملائمة لما لا يعقل (79)

والملاحظ أن القيمة التعبيرية لهذا العدول تتجلى في ملاءمتها للسياق الذي وردت فيه تلك الآية ، ففي صدر هذا السياق كان الأمر موجها إلى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمواجهة الكفار بحقيقة كفرهم في قوله تعالى : « قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها » [سورة فصلت :9،10]

وفي نهايته كان أمره عليه السلام بإنذار هؤلاء الكفار بسوء العقبى وفداحة المصير إذ أعرضوا عن الهداية قوله تعالى : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » [سورة فصلت : 12]

وبين هذين الأمرين جاء توجيه الأمر إلى السماء والأرض في الآية التي بين أيدينا ، وجاء الإخبار عن طاعتهما متضمنا هذا العدول عن صيغتي التثنية وجمع غير العاقل عن طاعتهما متضمنا هذا العدول عن صيغتي التثنية وجمع غير العاقل إلى صيغة جمع العقلاء عن (طائعين) وفي ذلك تعريض بهؤلاء الذين ضلّت عقولهم ، فتردت بهم سفاهتهم في هوّة الشرك فكأن الآية بتضمنها هذا العدول تُجسد المفارقة الواضحة بين الجمادات التي لا تملك إلا الطاعة و الانقياد لجبروت

الخالق ــ عز وجل ــ ، وبين هؤلاء الملاحدة من بني البشر (العقلاء) الذين تعطلت عقولهم .(80)

ومن مواطن العدول بين التثنية والجمع كذلك قول الحق تبارك وتعالى: « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» [سورة الحجرات : 09]

نجد التفاتا في التثنية إلى الجمع في قوله تعالى (طائفتان ــ اقتتلوا) ثم تحول عن الجمع بالعودة إلى التثنية (اقتتلوا ــ فأصلحوا بينهما) ، وفي هذين التحولين إشارة إلى المفارقة الشاسعة بين داعي الصلح و دواعي الاقتتال ، أي بين توحد الكلمة في كل من الطائفتين ــ في حال الصلح ــ وتشتت الآراء وتطاير شرر النفوس وانقسام الصف الواحد ــ في كل منها ــ إلى صفوف في حال الاقتتال ، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازي في تفسيره لدلالة هذين التحولين في الآية الكريمة إذ يقول : " عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة ، وكل أحد برأسه يكون فاعلا فعلا فقال (اقتتلوا) .... وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، وإلاّ لم يكن يتحقق الصلح فقال (بينهما) لكون الطائفتين حينئذ كنفسين " (81)

خامسا: الالتفات من الجمع إلى الواحد (الإفراد)

من روائع هذا اللون من الالتفات قول الله تعالى : « قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتينّكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » [سورة البقرة :38]

الالتفات المقصود هنا في قوله تعالى (مني) بضمير المفـــــرد و ذلك بعد ضمير الجمع في قوله تعالى (قلنا)

قال فيه أبو حيان الأندلسي :" وهذا شبيه بالالتفات لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع أو المعظم نفسه في (قلنا) إلى الضمير الخاص بالتكلم المفرد ، وحكمة هذا الانتقال هنا أن الهدي لا يكون إلاّ منه وحده تعالى فناسب الضمير الخاص كونه لا هادي إلاّ هو تعالى فأعطى الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره الضمير الخاص الذي لا يحتمل غيره تعالى وفي (مني) إشارة إلى أن الخير كله " (82)

وهذه اللفظة الصغيرة (مني) التي يمكن فيها الالتفات فيها ما فيها من الرحمة بهذا العبد الخارج من الجنّة دار النعيم الدائم إلى دار البلية الموحشة دار التعادي والحزن ، فكانت (مني) هي الصلة بين الإله الرحيم و العبد التائب الحزين ، لقد هبط آدم إلى الدنيا وهو متمسك بحبل من النجاة يزيل عنه الخوف ويصله بالأمل الذي يعيده إلى دار الخلد ، فكان هذا الهدى الذي هو من عنده سبحانه مشعلاً يضيئ طريق العودة ، ثم إن هذه اللفظة على صغر حجمها حجّة دامغة لدحض المكابرين الذين ينكرون الكتب السماوية أو بعضها ، فما هذا الهدي إلاّ هؤلاء الرسل وما أُنزل عليهم من كتب ومن أعظمهم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكتابه القرآن الكريم (83)

وجاء في محكم التنزيل قوله تعالى: « وا تخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا كلاّ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّا » [سورة مريم : 81،82]

ففي الآية الكريمة الثانية جاء اسم يكون القائد على الآلهة ضمير جمع، ثم جاء الخبر عنه مفردا (ضدّا) عدولاً عن (أضداد) التي يقتضيها ظاهر السياق ، وهو عــــدول يحقق في الآيـــــة الكريمة غايتـــــــين :

الأولى : اطراد الإيقاع الموسيقي بين فواصل الآيات ، إذ بصيغة الإفراد (ضدّا) تتوازى فاصلة الآية مع فواصل الآيات السابقة لها واللاحقة في سورة (مدا، عزا ، ضدا ...إلخ)

والثانية : هي الدلالة على (توحد) موقف الآلهة يوم القيامة في معاداة هؤلاء الكفار الذين عبدوهم من دون الخالق أو أشركوهم في عبادته ــ عز و جل ــ فتوحيد الضد موقف هو كما قال المفسرون : لتوحد المعنى الذي تدور عليه مضادة هؤلاء الآلهة للكفار ، إذ أنهم يتفقون على هذه المضادة فيكونون كالشيء الواحد (84)

ففي التحول إلى الإفراد عن الجمع ــ إذن ــ إبراز للمفارقة بين موقف الكفار من آلهتهم في الدنيا ، و موقفها منهم يوم القيامة ، فتلك التي توزعت أهواءهم و أذلوا أعناقهم لها من دون الله أملا في التعزر بها ، سوف تتناصر يوم القيامة على تكذيبهم ، وتتحد على مضادتهم و التنكر لهم .

وقد يأتي الالتفات العددي في الانتقال من الجمع إلى المفرد حاملا دلالة القرب ، من ذلك ما نجده في قوله تعالى : « إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على ما يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا

تحزن وقتلت نفسا فنجّيناك من الغم وفتنّاك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي » [سورة طه : 40، 41]

إذ تبدو دلائل عظمة القدرة الإلهية بارزة في ضمير الجمع لإنجاء موسى من الغم بعد قتله نفسا من قوم فرعون ، أما إخلاص موسى من أن يشارك فيه أحد فعلاقة فردية مباشرة بين موسى وربه ، أوضح ضمير المفرد عظمتها وخصوصيتها ، ففي العلاقة المباشرة الخاصة بين الله العظيم الجليل و واحد من مخلوقيه من التعظيم والتكريم ما فيه (85)

ومما يمكن أن يحمل دلالة القرب وخصوصية العلاقة بين العبد وربه قوله تعالى : « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحيينا فإذا جاء أمرنا فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون» [سورة المؤمنون: 27]

فالجمع في قوله تعالى :" أمرنا " يفيد بيان عظمة الأمر، وعظمة صاحبه ، وهول ما سيقع بقوم نوح من العقوبة والهلاك ، وأما حين خاطب نوحا انتقل إلى الإفراد " ولا تخاطبني " ويبدو جمال الإفراد أن المولى تعالى أراد ـــ وهو يرفض أمرا سيخاطبه فيه نبيه ـــ أن يظهر رفضه وهذا لا يعني أنه لا يكرم نبيه وإنما هو أمر يتصل بإرادة الله التي

لا رادّ لها، لذلك جاء الإفراد للدلالة على قرب نبيه منه ، رغم رفض ما سيطلبه منه (86)

ومن لطائف الأمثلة في هذا المجال قوله تعالى : « و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن شكر لي و لوالديك إلي المصير » [سورة لقمان : 14]

فاستخدام ضمير الجمع في الكلام على وصية الله للإنسان بوالديه فيه دلالة على عظم الموصي والوصية، وتبقى بعد ذلك الاستجابة وتبعاتها أمرا فرديا بين العبد وربه في علاقة مباشرة ، لذلك يأتي الضمير في التعقيب على الوصية مفردا لخصوصية الفعل وتعبيره عن القرب بين الله وعبده (87)

ويأتي الانتقال من الجمع إلى المفرد ليحمل دلالة القوة والشدة ومن أمثلته قوله ــ عز وجل ــ : « كلوام من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » [سورة طه:81]

فالجمع في الفعل (رزقناكم) يحمل دلالة عظمة الرزاق وشمول رزقه للخلق أجمعين ، أما الإفراد

في (غضبي) فيحمل دلالة العنف و القوة والمباشرة في إيقاع العقوبة دون وسائط ممّا يجعله أعظم هؤلاء في نفوس الطاغين ، وأقوى لهم درعا (88)

ومن صور الالتفات العدد في القرآن الكريم ما نجده في آيات يستخدم الجمع فيها في الحديث عن أفعال الله تعالى تعظيما لها ، تنتقل إلى الإفراد حين يصل الأمر إلى الحديث عن وحدانية الله تعالى وعدم الشرك به ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالـــــــــى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنـــا فاعبدون » [سورة الأنبياء : 25]

فالجمع في الإرسال والإيحاء يحمل دلائل عظمة المرسل والمُوحي و عظمة الفعل نفسه لصدوره عن العظمة المطلقة ، أما الإفراد في قوله تعالى : (لاإله إلاّ أنا فاعبدون) فجاء لأن المعنى اقتضاه فالحديث عن وحدانية الله تعالى.

وشبيه بذلك قوله تعالى:« وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركّع السجود» [سورة الحج :26]

فالجمع في قوله تعالى (بوأنا)يحمل دلالة تعظيم الفعل ، وما يدل عليه ذلك من قداسة المكان وكرامة النبي ، ولكن حين وصل الحديث إلى وحدانية الله تعالى وعدم الشرك به جاء الإفراد (89)

وفي سورة الحج نجد عدولا آخر عن الجمع إلى الإفراد قوله تعالى : « ثم نخرجكم طفلا » [سورة الحج :05]

حيث وردت لفظة الحال بصيغة المفرد (طفلا) لا بصيغة الجمع (أطفالا) الملائمة لضمير الجمع العائد على المخاطب في (نخرجكم) ، لقد توقف غير واحـــد من المفسرين لتوجيه هذا العــدول، فقيل ــ في رأي ــ إن الغرض هو الدلالة على الجنس وقيل ــ في رأي آخر ــ إن لفظة " الطفل " في الأصــل مصــدر و المصادر لا تُجمع ، وفي ــ رأي ثالث ــ إن المعنى : نُخــرج كُل واحـــد منكـــم طفلا .(90)

أما ابن جني فقد نحا في تفسيره هذه الظاهرة منحى آخر يختلف عن مثل هذه التخريجات اللغوية العاجزة عن تفسيرها في نظره فهو يقول : "... فحسن لفظ الواحد هنا لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره فلاق به ذكر الواحد ذلك لقتله عن الجماعة ... وهذا مّما إذا سُئل الناس عنه قالوا : وَضَعَ الواحد موضع الجماعة اتساعا في اللغة، وأنِسُوا حفظ المعنى لتقوى دلالته عليه ، وتنضم بالنسبة إليه "

<u>ســـادســـا</u> : الالتفـــات مـــن الجمـــع إلـــى التثـــنـــيـــة

ومثل ذلك قوله تعالى: «فا نتقمنا منهم و إنهما لبإمام مبين » [سورة الحجر : 79]

فجاء الخطاب بصيغة الجمع (منهم) والمقصود قوم شعيب ثم تحول إلى التثنية في قوله (وإنهما لبإمام مبين) ومقتضى السياق قوله تعالى (و أنهم) يقول فخر الرازي : " وقوله (وإنهما) فيه قولان :

القول الأول : المُراد قرى قوم لوط عليه السلام و الأيكة والقول الثاني : الضمير للأيكة و مدين لأن شعيبا عليه السلام كان مبعوثا إليها فلما ذكر الأيكة دلّ بذكرها على مدين ، فجاء بضميرهما

وقوله : (لبإمام مبين) أي : بطريق واضح معلوم (91)

ومن مواطن هذا الالتفات ما ورد في قوله تعالى : (إذا دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان) [سورة ص : 22]

الإحـــــالات

01- محمد ابن منظور – لسان العرب , ج 2 ,دار صادر ,بيروت ,ط 01 د ت

02- أبو عبيدة معمرمد بن المثنى , مجاز القرآن ج 01 ,ص 270 د ط ,د ت

الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ،البرهان في علوم القرآن ج05 ،دار المعرفة بيروت،د ط ،د ت ص310– 03

04- الزمخشري : أساس البلاغة "مادة لفت " تح د/ عبد الرحيم محمود ،دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان د ط ،د ت ، ص 411

قال أبو السعدات الجزري : اللفوت هي ذات الولد من زوج اخر فهي لا تزال تلتفت اليه و تشتغل به عن الزوج .– 05

06- أنظر مادة "لفت"في "لسان العرب "و "تاج العروس " و " القاموس المحيط

07- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ج08،تح د/ مهدي المخزومي ،د/ ابراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال،دط،دت ،ص121

08- ابو هلال العسكري، الصناعتين ، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت،1986 ، ص438,

09-ابن رشيق القيرواني_العمدة ,ج 02 ,تح محمد محي الدين عبد المجيد دار الجيل ,بيروت ,دت,ص46

10:عبدالله بن المعتز ,البديع,مكتبة المثنى,بغداد,ط 02، 1979،ص 59,

11:الغلل:المكان الخصب الذي يجود بالغلة

12:أ نظر معجم البلاغة العربية ,د/بدوي طبانة ص48

13::قدامة بن جعفر –نقد الشعر–تح:د/محمد عبد المنعم خفاجي,دار الكتب العلمية,بيروت–لبنان,دط,دت,ص150,وكذا بديع القرآن لابن ابي الاصبع المصري , تح:د/حنفي محمد شرف ص421.

14:ابو هلال العسكري ,الصناعتين ،ص48

15:ابن رشيق القيرواني–العمدة في محاسن الشعر و آدابه،ج01، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 01،2001,ص380

16:القزويني ,الإيضاح في علوم البلاغة ج6,شرح وتح د/عبد المنعم محمد خفاجي,دار الجيل ,بيروت,لبنان ط3,دت,ص158

17:إبن رشيق القيرواني –العمدة–ج1,ص158.

18:الثعالبي–فقه اللغة وسر العربية–تح:د/مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وشبلي –دارالفكر للطباعة و النشر والتوزيع,دط,دت,ص387.

19–احمد مطلوب،معجم المصطلحات البلاغية و تطورها،مكتبة لبنان ناشرون بيروت–لبنان–ط2,2000 م ص175

20–فخرالدين الرازي ،نهاية الايجاز في دراسة الإعجاز ،تح د/إبراهيم السمرائي ود/محمد بركات ،دار الفكر للنشر و التوزيع،عمان–الأردن،دط,1998م،ص146–147.

21:ضياء الدين إبن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح:د/أحمد الحوفي و د/بدوي طبانة،ج02،مطبعة نهضة مصر،القاهرة،ط 01 ،1960، ص171.

22:يحي بن حمزة العلوي،الطراز،ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1970 ،ص132.

23:حازم القرطجنّي ،مناهج البلغاء وسراج الأدباء،تح:د/محمد الحبيب بن خوجة ،طبعة تونس1966م.

24:بدر الدين الزركشي،البرهان في علوم القرآن،تح:د/محمد أبو الفضل إبراهيم،ج03،دار الجيل،بيروت ص314.

25: ضياء الدين إبن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 168–169

26–الزركشي،البرهان في علوم القرآن، ج3،ص321

27–الفخر الرازي–تفسير مفاتيح الغيب،ج13،طبعة عبد الرحمان محمد،المطبعة البهية المصرية،ط1، 1938م،ص31.

28—حسن الطبل ،الإلتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998 ،د ط ،ص160

29:أ بو حيان الأندلسي،البحر المحيط،دراسة وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد عوض بمشاركة د/ زكرياء عبد المجيد النوبي،ج02،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،2011م،ص33.

30–أ نظر المثل السائر،ص168،تفسير البيضاوي:ج04، تح محمد عبد الرحمان الرعشلي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ط01 ، ص46 وأنظر البرهان في علوم القرآن ج03،ص319.

31–أنظر شروح التلخيص،ج1،ص462،البحر المحيط ج1،ص24.

32–أ بو القاسم الزمخشري,الكشاف في حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, ج03 ، ص 65 .

33–ديوان علقمة الفحل–دار الصادر،بيروت،ص58.

34:الزركشي–البرهان في علوم القرآن،ج3،ص317.

35–أ نظر الكشاف الجزء2، ص 423.

36–أ نظر تفسير البيضاوي،ج3،ص83،البرهان في علوم القرآن ج4،ص31,الإتقان في علوم القرآن،ج01، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994،ص187

37–أبو القاسم الزمخشري،الكشاف،ج3،ص29.

38: ينظر أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية ، ج01 ،ص294 ، وينظر محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ،1997،ص392 ، وينظر د/ حفني محمد شرف ، التصوير البياني ، مكتبة الشباب ،1970 ، ص428 .

39: ابن البناء المراكشي المالكي ، الروض المريع في صناعة البديع ، تح رضوان بن شقرون ، الرياض، 1405هـ ، ص98 ،وينظر الحسن بن عثمان المفتي ، خلاصة المعاني ، تح د/عبد القادر حسين ، الناشرون العرب ،ط01، 1993، ص98 .

40: ابن الأثير ، المثل السائر، ص169 ، وينظر الجامع الكبير في صناعة الكلام من المنظوم والمنثور ،تح مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ، 1375هـ ، ص101.

41: د/عبد العزيز قليقلة ، البلاغة الإصطلاحية ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1987 ، ص344 .

42: يوسف بن علي السكاكي الحنفي ، مفتاح العلوم ، تعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت، ط02 ن 1987 ، ص 415

43: د/ اسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، دار الحضارة للطبع والنشر ، مصر ، 2000 ، ص 293 .

44: د/ حسن الطبل ،أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص63 ،وينظر إبراهيم محمود علان ، البديع في القرآن أنواعه و وظائفه ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، 2002، ط01، ص238 .

45: ابن وهب، البرهان في وجوه البيان ج01 ، تح د/ حفني شرف ، مكتبة الشباب القاهرة ،1969 ، ص152

46 ابن الأثير ، الجامع الكبير ، ص 101

47: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج03،ص334 ، 335

48: ينظر أبو حيّان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج03، ص524، وينظر الزمخشري ، الكشاف ،ج01، ص351

49: ينظر أبو حيّان ، البحر المحيط ، ج01، ص245

50 : ينظر تفسير ابن كثير ، ج01، تح محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط01،1419 هـ ، ص152

51: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ص 120

52: ينظر أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تح عبد القادر أحمد عطا،مكتبة الرياض الحديثة ، ص80،

53: ينظر البيضاوي ، أنوار التنزيل ، ص60

54: ينظر د/ فضل حسن عباس ، القراءات السبع من الوجهة البلاغية ، ص23

55: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المكتبة التوفيقية ، مصر (القاهرة) ،310 هـ ، ج02، ص28

56:شهاب الدين محمود الألوسي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والبيع المثاني ، ج01، ط02، ص409

(01) 57: ينظر العلوي ، الطراز ، ص102،وكذا الكشاف ، ص200

(02) 58: ينظر أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ص07 ،وتفسير روح المعاني ، ج5، ص21

(03) 59:ينظر مجاز القرآن / لأبي عبيدة بن المثنى ، ج 01 ، ص102 ، تح محمود فؤاد سركين ، وينظر المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د/ عبد الفتاح لاشين ،ص260

(04) 60: ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ،ج03، ص89، وكذا روح المعاني ، ص 27، وينظر الكشاف ،

(05) ج02، ص 223

61: ينظر الكشاف ،ص56، وينظر، حسن الطبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،ص 100

62: ينظر تفسير أبي السعود ،ج04، ص78، وكذا الكشاف ، ج02، ص160 ، وينظر تفسير البيضاوي ، ج03 ، ص 73، وينظر البرهان في علوم القرآن ،ج04 ،ص31

63: ينظرالالتفات في علوم القرآن ، ج01 ، ص 187

64: ينظر جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب ، 1974، ص 189 ، وينظـــــر القرطبي في الجامع لأحـــكام القرآن ، ج01، ص 30 ، وينظر د/ حسن الطبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،ص 118

65: ينظر الألوسي ، روح المعاني ، ص 200

66: ينظر أبو القاسم برهان الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن ، تح عبد القادر أحمد عطا ، تعليق أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة ، (د ــ ت) ، ص 140 ،

وينظر الكشاف ، ج03، ص11،وينظر تفسير البيضاوي ، ج04 ، ص101 ،

67 : د/ حسن الطبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،ص95 ــ 96

68: ينظر أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج06 ، ص 863

69 : ينظر المرجع السابق ، ص284 ، وينظر تفسير أبي السعود ، ص45

70: ينظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص37 ، وينظر تفسير البيضاوي ن ج04، ص115

71: ينظر الزمخشري ، الكشاف، ج01، ص 274، وينظر البيضاوي ، أنوار التنزيل ،ج03 ، ص155 وكـــــــــذا القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج01 ، ص 373 ، والألوسي ، روح المعـــاني ، ج10 ، ص 128 ، وينظر حسن الطبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 117 ، وابراهيم علاّن ، البديع في القرآن ، ص 245

72: ينظر الفوائد لابن القيم الجوزية ، تح محمد عزيز شمس ، ط 02 ،1973 ،ص147 ــ 149

73: ينظر ابن عطية ، المحرر الوجيز ، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت،1422 هــ3، ص139

74: ينظر أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج01، ص272

75: المصدر نفسه ج01 ، ص276

76: ينظرالزمخشري ، الكشاف ، ج 03، ص29

77: ينظر معاني القرآن للفراء ، ج02، ص22 ، وتفسير البيضاوي ،ج04 ، ص52

78: ينظر الكشاف ، ج02، ص385، وينظر تفسير البيضاوي ،ج05، ص45

79: ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج03، ص 305 ، 306

80: ينظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج 27 ، ص127 ، 128

81: ينظر البحر المحيط ،ج01، ص272، وينظر الصابوني ، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر

والتوزيع ،القاهرة،ط01،1997 ،ص37

82 : ينظر تفسير النسفي ، ج01، دار الكلم الطيب ،بيروت ، ط01، 1998 ، ص43 ،44

83: ينظر الكشاف ، ج02، ص423 ، وينظر روح المعاني ، ص305

84: ينظر روح المعاني ،ص303 ، وتفسير البيضاوي ، ص180

85: ينظر الكشاف ، ج02، ص400

86: ينظر الزمخشري ، الكشاف ، ج01، ص274

87: ينظر البحيري ، تحولات البنية ، ص338

88: ينظر تفسير البيضاوي ، ج04 ، ص 27 ، وكذا البحر المحيط ، ج 06، ص200

89: ينظر الزمخشري ، الكشاف ،ج02 ، ص 423، وتفسير البيضاوي ، ج 04، ص15، البحر المحيط ، ج06، ص215

90: فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج 20، ص 204